- ثلاثية :

إبراهيم حسين عبيد

- الجزء الأول :

يوميات أبو عرب والنبي عيسى بن مريم

((عليه السلام))



بطاقة فهرسة

مكتبة جزيرة الورد

اسـم الكتاب : **يوميات أبو عرب والنبي عيسى بن مريم**

المـــــؤلف : إبراهيم حسين عبيد

رقم الايداع ٢٠١٧/٥٤٠١

الترقيم الدولى / ٩٧٨-٩٧٧-٦٥٦٥-٦٤-٧

الطبعة الأولى ٢٠١٧

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميـدان حليـــم خلــف بنــك فيصــــل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٢٥٧٤

Tokoboko_5@yahoo.com

إهـــداء

أهدي عملي الأول المتواضع إلى :

الأم التي أوجدتني في الحياة وأصبحت حياتي كلها إلى تلك التي كنتُ جزءاً منها فأصبحت حياتي كلها

إلى أمـي الـتي أحبـتني وضـحّت مـن أجلـي ومازالت تحمل همي وتشاركني آلامي

إلى أمـي الـتي أسمعهـا وأراهـا وأشـعر بهـا وأهبها الدعاء على الرغم من بعدها عني

لأجلك أمي...

ابنك إبراهيم

المقدمة:

أكتب هذه اليوميات لأضعها بين يدي القارئ العربي في الوطن الكبير.

لقد رسمت شخصية أبي عرب هذه لأدلّل بها على رجل عربي في دولة غير محددة.

فقد اتخذت من شخصية أبي عرب منهج الاعتدال في السلوك والفهم للأحداث التي تواجه العرب والمسلمين.

هي شخصية تحلل مايدور حولها من سلوك الأفراد والجماعات المتخلفة ليصححها وليتخذ الموقف الصائب نحوها.

إبراهيم



الجزء الأول :

«يوميات أبو عرب والنبي عيسى بن مريم» عليه السلام

تأليف :
إبراهيم حسين عبيد

- بعد أن أدى أبو عرب صلاة العشاء وحمد الله أحب أن يتجوّل في المدينة الواسعة المترامية الأطراف.

قابله أحد طلاّبه القدامى وسلّم عليه بشوق واحترام .

عرّف عن نفسه قائلاً : كنت من طلاّب الصف الأول الثانوي منذ خمس سنوات

قال له أبو عرب : بارك الله بك ... هل أتممت الدراسة ؟

فأجاب : الحقيقة أنني تركت الدراسة والآن أعمل بمصنع بجانب منزلي.

رد عليه : رزقك الله يا بني .. هل تحتاج لشيء؟

أجابه : شكراً ادعُ لي .... السلام عليكم وغادر

شعر أبو عرب أنه قد خجل منه لأنه كان من أنصار إتمام التعليم ... ربما ظروفه غلبت أحلامه.

....

اقترب من المسجد الكبير المتطرّف عن البيوت والأسواق .. بجانبه فسحة مليئة بالأشجار المتمايلة الأغصان والحشائش الكثيفة الناعمة

تأمل الفسحة وتذكر أن في هذا المسجد قبراً لرجل دين دفن منذ أكثر من ٤٠٠ عام وأن الناس يأتون ليتباركوا بقبره في أوّل رمضان وأوّل أيام العيد لكونه من المؤمنين الصالحين .

كان له رأي مخالف من هذه الزيارات فالشفاعة لا تُقبل إلّا من النبي محمد ﷺ فيخطئ كل من يطلب من صاحب القبر أن يناجي ربّه ويقول : اشف المريض الفلاني أو وفّق الأسرة الفلانية في حياتها وهكذا ....

كل هذه الخواطر مرّت على ذاكرته وهو يقترب من المسجد الذي دُفن فيه الرجل الصالح.

اقترب منه شاب صغير.. في الثالثة عشرة من عمره تقريباً يحمل بيده حوالي عشرين سبحة مختلفة الألوان والأحجام منادياً ومكرراً

سبحة .... سبحة .... سبحة .... سبحة

أحب التحدّث معه فقال له: أرني تلك السبحة الصغيرة ....

أجاب : تفضل ، هذه بثلاث والكبيرة بخمس . ثم أكمل مقلداً الكبار صلِّ على النبي.

ابتسم ودعا له ... رضي الله عنك يابني . أنا والحمدلله أذكره وأسبّحه إن حملت سبحة أم لا.

على كلٍّ سأشتري منك ... هات الـ... السوداء.

أسرع فرحاً وقال : حاضر أخرجها من حزمتها وقدمها : تفضل ..أبدا إعجابه :

إنها جميلة .. أعطاه من النقود ستة فسأله الشاب : أتريد اثنتين؟ أجابه نعم.أضـاف: البيضاء جميلة أيضاً تفضل . أخذها وقال له بلطفٍ من سورة الأحزاب:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾. أتم : صدق الله العظيم وغادر فرحاً ..

اقترب من المسجد ليلمس جدرانه السوداء والبيضـاء ودون جهـد مـن المـرء يدرك أن مثل هذه المساجد منتشرة في المدن العربية وهي تشبه بعضها الـبعض إلى حد بعيد لأنها بنيت في مراحل زمنية متقاربة في العهد العثماني .

- تلك الإمبراطورية التي سيطرت على أقاليم كثيرة من منطقة الشرق الأوسـط وغيره .

ومن بينها الدول العربية _ يعتقد أنها سيطرت وهو يخـص الحـدث بعينـه كمـا كان- ولفترة زمنيةٍ طويلةٍ جداً / ٤٠٠ عام تقريباً/

هي الآن كلمات نكتبها إما أعداداً أو أرقاماً نذكرها .. لكنها حياة شعوب.حياة أجيال عاشها العرب تحت سيطرة تلك الإمبراطورية .

أما الأسباب التي دفعتهم لهذا الاحتلال حسب رأيه هو الشعار الذي رفعوه ألا وهو الاستمرار في تطبيق الشريعة الإسلامية التي أمر الله بها.

فهم قَبِلوا هذه الدولة لأنهم «يقصد الشعوب العربية» حلموا كثيراً بهذه الدولة. حلموا بأن يعيشوا بسلام وأمان في ظل حكم عادل يساوي بـين النـاس خاليـاً مـن الظلم والفساد. وهم الذين عايشوا القتـل والتنـاحر في البيـت الإسـلامي الواحـد ولكثرة الانقسامات والهزائم التي حدثت على يد بعضهم البعض.

لَمَ لايقبلون ويرحّبون بهذه الدولة التي ستعيدهم إلى عهد الخلفاء عهد المساواة

وإحقاق الحقوق وحرية العبادة؟

وفي المقابل كانت هناك أصوات خافتة .. «هو يظن أنها خافتة وخائفة أيضاً» ..كانت تعتبر التمدد والسيطرة على البلاد ماهو إلّا احتلال واغتصاب للأرض وقهر للشعوب ونهب للخيرات وتدخّل بشؤون الغير لهذا فلم ترحب بهم ولم ترضَ ولكن ما العمل وما باليد حيلة!! ما يمكن فعله هو القول الخجول والصوت الخافت فقط.

كل هذه الخواطر تزاحمت في ذهنه وهو يقف بجانب جدار المسجد. وصل إلى بابه فرآه مفتوحاً وفي نهاية الفسحة الداخلية لمح بعض الرجال فقال في نفسه : كم الوقت الآن؟

لماذا هؤلاء الرجال هنا بعد انقضاء وقت العشاء؟ يمكن أن يكونوا أعضاء جمعية خيرية أو من الذين يستفسرون عن أمور الدين!.

في هذه الأثناء اقترب منه رجلٌ في الأربعين من عمره تقريباً ويظهر على ملامحه أنه من رعايا دولةٍ أوربيةٍ متلفتاً حوله .

عرف بينه وبين نفسه أنه سائح وذلك من آلة التصوير التي كانت تتدلى من رقبته ألقى عليه التحية باللغة العربية وقال بكلمات ركيكة : هذا مسجد جميل.

ابتسم وأجابه : نعم .. من أي البلاد أنت ؟ أجاب : إسباني وأتجوّل في هذه المدينة.رد عليه : أهلا وسهلاً بك هنا وأنا سعيدٌ لسماعك تتحدث العربية .

رد مسروراً : تعلمتها في المعهد اللغوي عندنا وأنا أحب المسلمين كثيراً وتعجبني شريعتهم وأنا شخصياً أعتبر نبي الإسلام محمداً أهم شخصية من صلب آدم إلى يوم القيامة.

ربّت على كتفه وأضاف : بارك الله فيك. يعجبني ماتقوله ...

ويسرني هذا الفهم لشريعتنا وأفرحتني قناعتك بمكانة النبي ﷺ عندك.

أنت إنسان ذكي. فقال له : شكراً

سأله : هل تستطيع سرد المراحل الزمنية التي مرت بها بلادكم ؟ أجاب مبتسماً : الذي أعرفه أن المسلمين وصلوا إلى بلادنا وحكمونا بلطف وحولوا بلادنا لجنّة.. هكذا سمعت .

أيده مسروراً : نعم .. نعم لم يشهد العالم فاتحين أرحم من العرب

أخبره : سمعت هذا القول ..في هذه الأثناء ظهر رجل -في حوالي الخمسين من عمره- من الداخل . أشار بيده قائلاً : أهلاً وسهلاً تفضلا

رد شكرا. هذا الرجل من إسبانيا جاء لمدينتنا ليشاهد معالم حضارتنا ويلتقط بعض الصور.. هو يتحدث العربية .

سأله الرجل : ألست أنت الأستاذ أبو عرب؟ أجاب : بلى

رحّب قائلاً تفضلوا واحضروا الذكر بجانب قبر الشيخ وسأعود بعد أن أجدد وضوئي ، بعد قليل سنبدأ ، وابتعد.

حدّث نفسه متعجبًا : بماذا سيبدأ ؟!

حمل الرجل آلة التصوير وأخذ يلتقط بعض الصور بينما كان أبو عرب يتأمل الجدران والفسحة.

- فالفسحة كانت واسعة ونظيفة .. حتى تلك الأحجار المرصوصة على الأرض كأنها قطع من الرخام.

الممرات ضيقة لكن الأسقف مرتفعة وقناطرها مرتفعة وحتى الصخور الداعمة للقناطر والأسقف على شكل وردة أو أشكال هندسية .

والذي لفت نظره أن الرجل الإسباني كان يسرع في التقاط الصور ويجلس القرفصاء ثم يتمايل ثم يجلس جانباً ثم يقف لتكون زاوية التقاط الصور أروع .

انتبه لأصوات تخرج من الغرفة الداخلية. صوت يشبه الدف يعلو ثم يسكت وأصوات فيها حديث وفيها ضحك. و..........

كانت الأصوات صاخبة لم يفهم ولم يستوعب الذي يجري بالضبط. إنها تشبه أصوات المناجاة أو المناداة لكنها منتظمة ومتناغمة مع الضرب على الدفوف كلما اقتربا من الغرفة تلك ارتفع الصوت أكثر..

الغريب أن الإسباني لم ينتبه لهذه الأصوات! لماذا؟

فكّر قليلاً ووصل لاستنتاج مضحك أنه اعتقد أن الأصوات هذه تصدر من آلة تسجيل.

عاد الرجل بعد أن جدّد وضوءه وقال : إذا أحببتم الجلوس معنا فعلى الرحب والسعة لنبدأ الذكر.

نظر الاسباني إلى أبو عرب نظرات تدل على أنه لم يفهم المقصود فقال موضحاً: هم يذكرون الله تعالى ويتضرّعون إليه. فسأل : أهذه طقوس من الدين الإسلامي؟

تلكأ أبو عرب في الإجابة ثم أجاب : إن ذكر الله فريضة وهي محببة في نفس الوقت. فالإنسان يكون بغاية من السعادة عندما يذكر الذي خلقه والذي سيعطيه

فقاطعه الرجل الآخر وأتم قائلاً : تفضلوا أنتم ضيوف وربما أزداد قرباً من الله

لأني سأجعلكم تستغفرونه وتشكرونه سبحانه وتعالى تفضلوا .. أسرع الخطا أمامهما.

في هذه اللحظات عاد إلى ذاكرته وقال في نفسه : المزار .. أناس أيضاً يسمونها حضرة .. وغيرهم يسمونها نوبة وأحياناً يسعى بعض المساكين لعلاج مرضاهم من السحر أو العجز والبعض يسعى لإخراج الجن من دمه وهكذا ...

وصلا إلى الغرفة ودخل أبو عرب وتبعه صاحبه

كانوا خمسة عشر رجلاً من مختلف الأعمار والأشكال. منهم من يرتدي عباءة أو بنطال ومنهم من هو بلحية أو بدونها.

المهم أنهم يبتسمون لهما بلطف ويهزون برأسهم مرحبين وكأنهم يقولون : ها نحن كما تروننا « بساط أحمدي».

قال لهم : الرجل الأجنبي يفهم العربية والأستاذ من حيينا دعوتهم للحضور

قال أحدهم : جزاك الله خيراً.

قال ثاني : الله يهدينا جميعاً. قال آخر : مرحباً بكما.

أشار الرجل بأن تفضلا إلى صدر الغرفة أي في نهايتها كما نفعل عندما نريد إكرام الضيوف.

شعر أبا عرب أنَّ عليه الجلوس بجانب الباب دون أن يعرف السبب ..

انشغلوا هم بترتيب جلستهم وتجهيز الدف والمزهر وانشغل هو بتأمّل الكلمات المكتوبة والآيات القرآنية والأحاديث التي تدلّ على فضائل جلسات الذكر.

همس له صاحبه الإسباني بكلمات فهم منها أنه يقصد ... كأننا هنا حسب موعد مسبق ، صدفة جميلة.ابتسم له وقال : هذه فرصة لتتقرّب بها أكثر من المسلمين.

رد قائلاً : الحقيقة أنا سمعت كثيراً عن الإسلام وقد جاءت هذه الفرصة لأتعرّف على هذا الدين أكثر.

قال له : صحيح .. عفواً نسيت أن أسألك عن اسمك؟

أجاب مبتسماً : اسمي تيتو.

مازحه قائلاً : هكذا تيتو؟ .. علم أنه يداعبه فضحك ولم يسأله عن اسمه ثم سأله : أذكر الله عندكم يكون بهذا الوقت فقط؟.

أجابه : لا أبداً ..إنّ ذكر الله ياسيد تيتو واجب علينا بكل الأوقات وبكل الأماكن وفي كل الظروف.

إن الله عزّ وجلّ موجود معنا في كل حركاتنا وسكناتنا فهو يرانا ويسمعنا ويقدّر مصيرنا.

فذكرنا له سبحانه وتعالى هو شكر وحمد ودعاء وطلب رحمة .. إننا عندما نذكر الله سبحانه نقرُّ بأننا عبيد ضعفاء نرجوا المغفرة والعفو لكي يدخلنا الجنة ولكي ....

لكن أصوات الدفوف انطلقت مدوية فقاطعت حديثه.

قالوا جميعاً : نحن في حضرتك يا شيخنا يا سيدنا يا صاحب القدر الكبير -وكرروها عدة مرات-

نظرا إلى بعضهما وحاول كل منهما تسجيل أكبر عدد ممكن من اللقطات الابتدائية أي لحظات البدء.. فهذه اللقطات الأولى ربما لن تتكرر ثانية في حياتهما.

بدأت الأدعية بشكل جماعي وكأنهم تدربوا على قولها شهور عديدة ، منها مافهم ومنها لا ، لكن الذي تأكد منه ومن خلال تأمله لعينيه بدى كأنه مندهش لدرجة الخوف .. ثم بدء يزمّ شفتيه ثم يرف بعينيه ثم اقترب منه أكثر.

ربما شعر بأنه بحاجة لأن يحمي نفسه خلف أحد .. ودقيقة تلو الأخرى بدت على ملامحه علائم الإطمئنان والراحة ربما لأنهم انشغلوا فيما بينهم وازداد التنسيق فيما بينهم خاصة عندما تنتهي مجموعة من الإلقاء لتسلّم في قفلتها المجموعة الثانية ويتناوبون في ذلك.

وازدادوا في الاندماج حتى رأى الدموع تنهمر على خدودهم ولحاهم بسبب شدة التضرّع إلى الله سبحانه وتعالى.

بدأ يشعر بشعورٍ جديدٍ وأنه شاركهم في الذكر دون التكلّم ، بدأت أنفاسه تتسارع أكثر فأكثر ومشاعره كلها تزحف لأطراف وجدانه وكلما ذكر اسم الله ذهب ببصره إلى الأعلى واتجهت بصيرته إلى السماء ليتخيّل عرش الرحمن.

مَن مِن المسلمين لا يتلذذ عندما يعترف للخالق القوي الغني الرحيم أنه العبد الذليل أمام قدرته ، الفقير أمام مُلكه ، العفو الغفور.. كل هذه المشاعر والأحاسيس خدّرت أطرافه وجعلته يتواصل مع خالقه .

الذي أسعده أن تيتو مرتاح ومسرور لأنه شاهده يجهّز آلة التصوير ثم همس له : مسموح التصوير؟

فبحث عن الرجل الذي دعاهم فلم يجده بسهولة فقال له : صوّر..

أخذ يلتقط الصور للسقف أولاً ثم الجدران ثم الناس الموجودين وهو بغاية السرور إلى أن حدث مالم يكن في الحسبان ..

لقد هدأت هذه الضجّة وهذه التحركات وبقي اثنان منهم يرتعشان ويشهقان ويزفران للحظة واحدة وهما يقولان : الله ، الله ، الله ...

عرف مباشرةً أنهما وصلا إلى درجة الخروج من بين الحضور بروحهما والتوجّه بمشاعرهما وأحاسيسهما إلى ذات الإله ..

أي سمت روحهما السمو الصافي إلى تجليات الرحمن وأصبحت كل الأحاسيس والمشاعر متعلقة بأشياء لم ولن يراها غيرهما «حسب ما يعتقدون»

ثم حمل أحد الرجال سيخ معدني موضوع ضمن بيت جلدي مخصص له.. حمله وجرّده من بيته وهمس في أذن الرجل الأول بكلمات لم يسمعها أبو عرب لكنها تشبه اهدأ .. اهدأ ومن المؤكد أنه يقول وحّد الله وصلِّ على النبي ..

لكن الرجل بقي على حاله ثم لعق شاهدته ومسح بها على خد الرجل من جهة ثم مسح بها على الخد الآخر.

ثم أدخل السيخ الذي يبلغ طوله حوالي عشرون سم في خده ثم يخرجه من الخد الآخر دون أن يتألم الرجل ودون أن ينزف الدماء .. يا إلهي!!.. ماذا أرى؟!..

توجّه بنظره نحو تيتو ليقرأ مالذي يدور في ذهنه فوجده صامتاً جامداً أحس أنه لا يتنفس .. عيناه تنظران بدهشة كأن السيخ دخل بهما وقضي الأمر ثم فوجئ عندما استدار بسرعة وجاءت عيناه أمام عيني أبا عرب تماماً وفيهما مئة سؤال مرّة واحدة.

ولاحظ أن اللون الأصفر استطاع أن يطفو على سطح جلده .. ثم رجفت شفتاه فأسرع أبو عرب يربّت على كتفيه مبتسماً وقال :

هذا الأمر بين بعضهم لا شأن لنا بهم. ثم أشار الرجل أبو سيخ إلى الرجل الثاني

وحمل سيخ آخر أطول من الأول وموضوع ضمن بيت جلـدي جميـل أخرجـه مـع تمتمات كثيرة .. ففهم منها يا قوّة الله .. يا قدرة الله .. يا رحمة الله .. بسم الله ..

ثم وضع شيئاً من ريقه عـلى شـاهدته ومسـح بهـا عـلى خاصـرة الرجـل الثـاني وكذلك فعل في الجهة المقابلة.

نظر كل منهما للآخر والشفقة واضحة عـلى وجـوههم .. ضـعفت عزيمـة أبـو عرب وأصبح بحاجة لمن يربّت على كتفه.

ثم غـرز رأس السـيخ في خاصـرته بالضـغط الشـديد إلى أن خـرج السـيخ مـن الخاصرة الثانية وسط تكبيرات الحضور وصيحات الحمد والشكر لله.

فوجد أبو عرب نفسه يصيح معهم ويقول : الحمدلله ، الله أكبر عدّة مرّات ..

ومازال هذا الرجل يدور حول نفسه ..

فالتفت إلى صاحبه فوجده يتأمل في حيرة وتعجّب وبقي ينظر بدهشة فتوقـع أن يسأله هل أنت معهم؟!..

لا توجد أي كلمة يلفظها لسانه .. تلعثمت الكلمات في فمه ولم ينطق بكلمة

ثم اقترب الرجل أبو السيخ هذا وسحبه من خاصرته بهدوء ثم مسح مـن ريقـه على مكان الدخول والخروج وسط صيحات الحمد والشكر ...

وأبو عرب يردد ما يقولونه فما كان من صـاحبه إلّا وانـتفض واقفـاً ... دون أن يسأله أو يشعره بأن علينا أن نخرج .. ثم نظر إليه وكأنه يقول : إن لم تقف سـأخرج لوحدي فوقف وأدرك أنـه يجـب عليـه شـكرهم والاعتـذار عـن متابعـة السـهرة معهم..

ثم ضغط على نفسه واستجمع قواه ونطق الله .. تـ .. تقبل الله منكم و.. وقواكم

الله وزادكم .. شكراً .. السلام عليكم.

فأضاف الرجل الذي دعاهما والرجل أبو السيخ معاً : ابقوا معنا لا تؤاخذنا إن قصرنا معكم ولم نضيّفكم شيء.

فأنطق الله تيتو وقال : لا.... تمام ... شكراً ... ثم خرجا.

وعند خروجهما من الغرفة كان أبو عرب ينظر إلى خطواته في الممر والإسباني ينظر إلى الباب الكبير وكأنه يريد أن يطير إلى الخارج.

قال أبو عرب : لا حول ولا قوّة إلّا بالله ما أسوأ حظ هذا الرجل لأن هذه المشاهد ستبقى في خياله سنين كثيرة.

وصلا إلى الباب وخرجا ..

....

وهما على الرصيف أراد أن لاتكون الأسياخ هي نهاية اللقاء به ، أحبّ أن يعيده إلى الحديث الأولي عند لقائه به لكي ينسيه ما قد شاهده.

فسأله : أنتم في إسبانيا ماذا تقولون عن العرب المسلمين؟ وهل أنت مع مَن يقول أن العرب المسلمين أرحم الفاتحين؟.

رد متعجباً : أرحم! ...

أتم مستدركاً : أقصد أرحم .. يعني أن .. تعال إلى هذه الجهة ربما نجد مقعداً نجلس عليه .

قال متهرباً : أنا آسف .. أحب أن أتجه إلى الجهة المقابلة ففهم أنه فضّل الهروب .

فقال في نفسه: من واجبي أن أفهمه أن حب الله الحب الخالص ..الحب الصافي .. الحب الذي ليس بعده حب يؤدي بنا إلى التعمّق بفهم قدرة الله وبالتالي ستسمو أرواحنا وتتنزّه عن كل شائبة في هذه الدنيا..

يجب أن نحب الله وحده لأنه الوحيد الذي يستحق هذا الحب ويجب علينا أن نفهم أن .. أن .. وأن .. لكنه توقف..الحمدلله.

هذه فرصته ليطرح عليه سؤالاً سريعاً إن أجاب أجاب وإن امتنع عن الإجابة فعليه تقدير تصرفه .. لكنه تابع سيره .. فأسرع الخطا خلفه كما يسرع المراسلون ليسألوا أحد الوزراء بعد خروجه من اجتماع هام وقال : هل مازلت تحب المسلمين؟

قال : أنا أحب النبي محمداً فقط.

ثم أسرع الخطا .. لم يعد يستطيع اللحاق به.. تجمّد في موقعه لايستطيع تحديد مشاعره ، لا يدري ماذا يفعل في هذه اللحظات؟

تجمّدت كل أفكاره وتثبتت أقدامه في الأرض فشعر بخفقات قلبه توحي إلى عقله بجملة يجب عليه أن يثبتها في ذاكرته إذ قال قلبه:

الحمد لله الذي مازال يحب النبي محمداً. وأنا .. أخطأت عندما دخلت .. سبحان الله هو الآن لايشعر بالراحة التامّة لأنه لم يتمكن من إفهام هذا الرجل حقيقة مشاعر هؤلاء المتعبّدين الصافية ، وليس كما تصوّر هو ..

سيتعمّد إن شاء الله المرور من جانب هذا المسجد علّه يلقاه ثانيةً.

....

عاد إلى حارته وتوجّه إلى منزله ، لكنه فضل عدم الدخول وهو على هذه الحالة فتوقف ساكناً إلى أن مرّ أحد الجيران فسلّم عليه ..ردّ التحية فتابع النظر وفي عينيه

تساؤل عن سبب وقوفه.

فأسرع لينطلق في عكس الاتجاه ليتوجّه إلى السوق.

....

أقترب من مقهى وسط الحي.. يذكر أنه جلس في هذا المقهى ثلاث مرّات وآخر مرّة كانت منذ سنة. إنه بحاجة لمن يكلمه.

جالت عيناه بين الوجوه ، علّه يجد أحداً يعرفه ليفتح له قلبه في هذا الوقت المتأخر من الليل .. توقّفت عيناه عند أبو رامز فاندفع نحوه

استدار نحوه وتأمّل عينيه ريثما يصل إليه .. فاجأه قائلاً : هذه ليست طلّتك يا أبا عرب .. أجابه : أوضح يا أبا رامز .. أوضح : عهدتك مبتسماً رشيقاً رصيناً ذا طلّة بهيّة إلّا أنّ وجهك قلق وابتسامتك مخفيّة وكأنك مهموم .. لماذا؟؟

وصل إليه وتعانقا وتبادلا عبارات الاشتياق والود ..إنه صديق قديم ويكنّ له كل احترام وتقدير.

دعاه : اجلس يا رجل وحدثني عن آخر أخبارك وأعمالك.. فرد مازحاً : وهل تحسبني من المطربين حتى أذكر لك آخر أعمالي... وضحكا معا..

استطرد : إن الطرب والغناء في السنين الأخيرة أصبح عمل من لا عمل له عند الغالبية.

رد متعجباً : هل علمت كم هو عدد الملايين التي يصرفونها على برامج المسابقات لكي ينتقوا واحداً منهم من بين عشرين؟. ثم ماهي الفوائد العظيمة التي يحصل عليها المواطن العربي؟

رد عليه قائلاً : استغرب أن هذه البرامج كثرت هذه السنين والعرب بأمس

الحاجة لأهم من ذلك أغلب المواطنين العرب بلا أهداف.

فسأله : ما أخبار الوطن؟ أحب أن أسمع منك أخبار العرب يا أستاذ.

أجابه أبا عرب : الوطن جريح يا أبا رامز وجراحه تنزف ..

الوطن تغيّر كثيراً تفتتوا أكثر، وأصوات الرصاص تعلو أصوات المعامل وخرير المياه .

المقاتلون يسمّون قتلاهم شهداء ، ويكبّرون عندما يطلقون الرصاص ، ويسمّون بالله العظيم عندما يضغطون على الزناد. العرب الآن في مرحلة ضياع وتشرزم ..

حضر النادل وسأل عن طلبهما .. قال أبا رامز اثنين شاي.

وتبادلا الأحاديث إلى أن دعاه ليشرب القهوة غداً صباحاً معه في مزرعته .. فوافق .

توجّه إلى منزله وحدّث نفسه : الأمل كبير بالله بأنه سيحفظ العرب.

....

وصل إلى باب منزله متعباً .. نظر إلى بيت عبدالله وقد خيّم السكون عليه واختفت الأنوار.

عبدالله هذا هو ابن عائلة صديقه لوالده ، أهله عاشوا مع أهل أبا عرب سنين متحابين مخلصين لبعضهم البعض .. وأوصوهما أن تبقى هذه العلاقة ..

علماً أنهم من النصارى ويتّبعون ديانة النبي عيسى عليه السلام.والبيت الذي يسكنونه قد استأجروه منذ عشرات السنين ...

دخل البيت واستعد للنوم وماهي إلا دقائق حتى نام.

في اليوم التالي فتح عينيه على أنغام زقزقة العصافير المتسللّة من نافذة غرفته ابتسم وقال في نفسه : لا بد أن عصافير الأحياء المجاورة قد اجتمعت عند عصافير حينا لإلقاء تحية الصباح .. وتبادل الأخبار عن أماكن تواجد البذور والحنطة المبعثرة وقد عَلَت أصواتهم بين تمجيد وتسبيح للخالق ودعاء له سبحانه أن يوفقهم في سعيهم لإيجاد ما يسدون به رمقهم ورمق صغارهم.

اعتدل وقال : أصبحنا وأصبح الملك لله .

وقف ونظر من النافذة وقال : أصبحنا بنعمة وعافية وستر فأتم علينا يارب نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة.

ثم غسل وجهه ومشّط شعره وبدّل ملابسه وخرج.

....

عندما خرج شاهد سالي زوجة عبدالله تنشر الغسيل فاستدار بوجهه ومشى لأنه لا يجب عليه أن يكلّمها أو يسلّم عليها من بعيد احتراماً لسمعتها النظيفة ومسايرةً للعادات والتقاليد.

مشى عدّة خطوات ورأسه مطرقاً للأسفل فسمع صوت عبدالله يناديه : يا أبا الطيّب .. يا أبا الطيّب

فاستدار نحوه وحيّاه .. فردّ وقال : لماذا لم نرك منذ ثلاثة أيّام؟

أجاب : مشاغل الحياة .. فقال : تعال واشرب القهوة معي.

ردّ أبا الطيّب : غداً أو في المساء إن شاء الله

وإذ برأس مريم يطلّ من النافذة مناديه : عمّو الطيّب تعال قال مبتسماً : مريم أنتي مستيقظة باكراً هذا اليوم من المؤكد أنك نمتِ باكراً ليلة البارحة ..

فقال عبدالله : تفضّل يا أبا الطيب .. وسعل سعالاً شديداً.

عاد أدراجه إلى منزلهم ووصل إلى الباب واستدار وقال :

صباح الخير أخت سالي ..فقالت : صباح الخيرات سيّد أبو الطيّب كيف حالك؟

رد : الحمد لله بخير.

وصل إلى عبد الله وصافحه وأوضح : أنا آسف لم أحضر منذ ثلاثة أيام وأنت على حالتك هذه .. في الحقيقة أنا أحمل همك على عاتقي .

إن مرضك طال ويجب عليك إمّا تغيير الدواء أو تبديل الطبيب.. الوضع بحاجة لإعادة نظر أليس كذلك؟؟

أيده مبتسماً : نعم تفضل ..ودخل وتبعتهم سالي.

جلسوا في الغرفة وجلست مريم على ركبتيه وبعد عشر دقائق قدّمت سالي القهوة وقالت لمريم : انزلي من على ركبة عمّك

أجابتها : لا . فقال : اتركيها فهي ترتاح هنا أكثر من أي مكان آخر ..

وشكا له عبدالله آلامه وعرض عليه الأدوية التي يتناولها .

تحدثا قليلاً وخرج.

....

توجّه إلى الطريق فقابله موظّف المدرسة الإعدادية راكباً على درّاجته الهوائيّة

توقف بجانبه محدثاً : الحمدلله أني رأيتك يا أستاذ أبو عرب .. وفّرت عليَّ .

قال : ما هو ذاك؟ أهو لتر بنزين أم ماذا؟

فضحك وأوضح : الوقت يا أستاذ .. لديك دعوة لحضور لقاء اجتماعي لتبادل

الآراء في قاعة الاجتماعات في المدرسة غداً مساءً.

وأحبّ المدير أن تلقي كلمة في هذا اللقاء .

هزّ رأسه وقال : إذاً عليّ تحضير كلمة

قال مبتسماً : مثلك لا يحضّر لكلمة ، كلامك كلّه حكم

ابتسم وقال : لا تمدحني في وجهي يا رجل وعلى كل حال شكراً لك ودعوتكم مقبولة ... حيّاه وغادر.

تابع سيرة إلى أن اقتربت سيارة نقل أشار لها فتوقفت ..ركب في المقعد الملاصق للباب لأن المسافة المقصودة تبعد حوالي ٢ كم فقط.

عندما انطلقت الحافلة عادت به الذاكرة إلى الوراء لسنوات طوال . «تذكر حضور أعمامه الثلاثة أبي محمود وأبي ياسين وأبي هاني وطلبوا من والده إخراج عائلة أبي عبدالله من المنزل الذي يسكنون فيه لأنهم سيتقاسمون هذا المحضر فيما بينهم وقد كان والده يماطل ليبقى الوضع على ما هو أي لتبقى عائلة أبي عبدالله مقيمة بقربهم بسبب تلك العلاقة الوطيدة التي تربط بينهم» .

انتبه أنه اقترب من المزرعة فقال للسائق : أنزلني هنا لو سمحت.

أوقف السائق الحافلة ونزل واقترب من المزرعة ودخلها فهي قريبة جدا من الطريق ولمح شاباً يخرج منها مسرعاً أدرك أنه ابنه رامز.

منظر المزرعة رائع جداً .. الأشجار مرتفعة فيها معظم أصناف الفواكه ويمتد على الأرض بساطاً أخضراً تحيط به خيوط من الزهور والشتلات ..

تسرح بين الحشائش دجاجات كثيرة تهرب من ديك واحد ينتقل مختالاً ويقفز فوقهم ويمارس معهن قلّة الأدب.

سمع صوت أبي رامز من بين أشجار التفاح المثمرة وهو يمسك حبلاً طويلاً في نهايته غنمتان صغيرتان ترعيان وتأكلان من الحشائش وبيده الثانية سبحة صغيرة يذكر الله بها .. توجّه نحوه فعاتبه : لا تأتي إلّا بدعوة يا أستاذ!

أجاب : لا غنى لي عنك يا صديقي .. زادك الله من نعيمه ..

رد : شكراً .. أتحب أن تجلس هنا أم نذهب إلى المكان المخصص للجلوس هنالك؟

أجاب : أريد أن أبقى هنا قليلاً ثم نذهب إلى هناك.

رد : على الرحب والسعة .. ثم استدرك متسائلاً : هل تزداد حسنات الإنسان كلما ذكر ربه؟ حتى وإن كررها كثيراً؟

استغرب أبو عرب هذا السؤال بهذه اللحظات لكنه أجابه : نعم ، فأخرج أبو رامز سبحة من جيبه وقال : هذه لك .. اذكر الله وعدّ الحبات.

أخذها وتأملها : شكراً لهديتك وإني أذكر الله باستمرار وفيه ثواب كثير..

فسأله بسرعة هل يدفع لكم عبدالله أجرة المنزل كل شهر؟

أجاب : نعم وقد استغرب من سؤاله أيضاً

فأضاف : لماذا لا تخرجونهم من هذه الدار الجميلة وتُسكنون بها أقاربكم أو .. فهم نصارى و .. أبناء دينكم أحق.

ازداد استغراب الرجل من هذا المنطق وهذا التدخّل فقال له : يا أبا رامز النصارى ليسوا أعداء ولا أكرههم بل هم جيراننا وأصدقاؤنا ونكنّ لهم الاحترام والحب ونعاملهم المعاملة الإنسانية طالما يتمنون لنا الخير ولا يضرونا بشيء ..

وهذه العائلة بالذات قريبة جداً بعقيدتها من أساسيات الدين الإسلامي ألا وهي أن لا إله إلا الله.

وأهليهم من قبلهم يعتقدون أن النبي عيسى عليه السلام هو رسول أرسله الله ليهدي الناس وأيده بروح القدس وأنت تعلم أن الرسول عيسى عليه السلام رفض عقيدة من يقولون أنه ابن الله ..

عقيدتهم هذه ليست السبب المباشر الذي جعلني أحافظ على وجودهم هنا بل وضعهم و .. مرض رب الأسرة الصغيرة وكما قلت هم يتعاملون مع من حولهم بحب واحترام ويبادلونك المشاعر النبيلة والإنسانية.

أضاف بحقد : تمنيت أن أسكن مكانهم

قال له : تفضل وخذ داري لو أحببت فهي تشبه دارهم فضحك لأنه اعتبرها نكتة وحتى يبدّل الموضوع سأله : كم مرّة تختم الذِكر؟ وأشار إلى السبحة

أجاب : دائما .. كلما انتهت أجدد .. هيا بنا نجلس هناك ..

سأله : هل شبعت الأغنام؟ أجاب : الأغنام لا تشبع من البرسيم .. ثم أردف قائلاً: هل علمت أننا تقاسمنا هذه الأرض أنا وشريكي؟

رد مستغرباً : هذا يعني أن الأرض ليست كلها لك؟

أوضح : لا .... نصفها .. تقاسمناها بالنصف وأنا أحمد الله على ذلك

أيده : أحسنت ، الفضل والملك لله وأنت قرأت سورة الكهف وعلمت ماذا حصل للذي قال: إن هذه الأرض له ولن تزول وهو صاحبها و ...

قاطعه : الفضل لله وحده ..خذ هذه التفاحة مني / وقطف واحدة من الشجرة/

سأله أبو عرب وأين شريكك؟ – أخذ التفاحة ومسحها بقميصه وأكل منها –

أجاب : شريكي سيأتي بعد ساعة سمعته يقول سيأتي لقطف ثمار أشجار التفاح هذه وأشار إلى الشجرة التي قطف منها التفاحة.

سأله متعجباً : أهذه الأشجار ليست لك؟

رد : لا .... هي لشريكي حصتي أنا في الطرف الثاني ..

فتوقف عن مضغ التفاحة ثم سأله: وهذا البرسيم الذي ترعاه الأغنام ليس لك؟ أضاف : لا هو لشريكي ..

فنظر إليه متعجباً وتوقف عن مضغ التفاح وقال في نفسه : كيف يضيفني من رزق ليس له ويرعى أغنامه في أرض ليست ملكه وهو يحمل سبحة بيده..

وعندما انتبه إلى غضبه ونفوره أشار له : تعال نشرب القهوة هناك ورمى أبو عرب ما تبقى من التفاحة على الأرض

في هذه الأثناء سمع أبو عرب رنين الهاتف المحمول فأخرجه فكان المتصل جاره وصديقه عمر على الشاشة

قال في خلده : خير إن شاء الله لا يكلمني عمر إلا عندما يحدث شيء هام

رد: نعم سيد عمر السلام عليكم

قال عمر : وعليكم السلام ورحمة الله أين أنت؟

أجابه : في مزرعة صديقي أبو رامز

دعاه بقلق : تعال بسرعة أولاد أعمامك يتشاجرون مع أصدقاء عبدالله وأولادهم

سأله لماذا؟ أجاب : يريدون مضايقتهم وإزعاجهم و ..

فهم الموضوع كله وأضاف : ابق أنت بالقرب منهم يا عمر وسآتي في الحال

قال لأبي رامز: عفواً لن أستطيع البقاء هنا وسأذهب وأعدك بزيارة أخرى فأنا مضطر للمغادرة ..السلام عليكم.

فأكمل بوقاحة : فكّر بالموضوع هه .. أريد منزل عبدالله ..

تحدث في نفسه : ما هذه العقلية! ألهذه الدرجة يلحّ عليّ مع أن وضعه المادي جيد ويستطيع شراء محضراً كاملاً لوحده .. هذا تصرف غريب!

....

أثناء عودته وقف ينتظر أيّ عربة تعيده إلى الحارة .. سرح فكره بموضوع المنزل الذي يسكنه عبدالله .. الكل هنا يريد إخراج هذه العائلة.

العراك الدائر في هذه اللحظات سببه أن أولاد أعمامه يريدون مضايقة عبدالله ويتشاجرون معه لسبب أو لآخر وها هو أبو رامز يُكنّ لهم البغض لسبب في نفسه

إن هذه العائلة وصلت إلى الحقيقة وينقصهم درجة واحدة حتى يعلنوا هذه الحقيقة ألا وهي:

أن عيسى عليه السلام مثله مثل آدم عليه السلام هما من روح الله وليسوا أبناء الله وأن القرآن الكريم هو الكتاب الذي بقيّ حتى الآن كما هو كما نزل على محمد رسول الإسلام .

وأن آيات القرآن واضحة تماماً فيما يخص حمل مريم العذراء وولادتها وأقوال عيسى عليه السلام ومعجزاته ورفعه إلى السماء..

إن آيات القرآن تدلنا على طريقة التحاور مع النصارى ففي واحدة يقول الله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا

نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

_ إن كل الآيات تطالبنا أن نسالم أهل الكتاب طالما هم يحترمون العقيدة الإسلامية ويحافظون على العهود ولا يعتدون .. وليس المطلوب منا أن نقاتلهم أو نخرجهم من ديارهم إن وافقوا على ذلك.

إذاً لا يجوز إيذائهم أو قتلهم أو تدمير كنائسهم أو ...

انتبه لنفسه يسير بسرعة ولا ينتظر وصول العربة التي تقلّه .

كان يلهث والعرق يتصبب منه .. جفف عرق جبينه ، انظر إلى الخلف وسأل نفسه: لماذا امشي كل هذه المسافة دون أن أوقف أيّ منها!

هل مازالت النفوس في الحارة متشنّجة أم هدأت؟.

أرجو من الله سبحانه أن يهدينا إلى الطريق الصحيح..

شاهد عربة صغيرة تتمايل عجلاتها وكأنها أقدام متعبة أشار إليها فتوقفت فركب وعاد إلى شرود الذهن ...

أعمامه وكّلوه هو ليتفاوض مع المتعهد الذي سيبني المحضر بعد هدم البيوت

اختاروه هو لأنه أكثرهم هدوءاً وفهماً وليس لأنه أكثر علماً فهذا المشروع لا يحتاج إلى شهادات عليا ولأنه مقيم في هذا المحضر فيجب عليه أن يكون عند حسن ظنهم به ، فهو الأكثر صبراً فعليه التصرف بحكمة عند حصول خلاف أو عراك.

انتبه أنه وصل إلى الحي فطلب من السائق التوقف ونزل

....

أول ما ذهب إليه بصره هو الزقاق الضيق ..

هل من ازدحامات؟. هل من ركض هنا وهناك؟. هل من جرحى؟. هل من ... لاشيء .. كل الأمور عادية كما هي الحال في كل يوم.

عَلِم أنه بالغ في تصوراته فلا توجد أي مؤشرات على أنه حصل عراك ما

خطر عمر على باله .. حمل هاتفه النقال وطلب رقمه:

عمر .. السلام عليكم . رد عمر التحية وقال : أين أنت؟

أجاب : في الحارة وأقترب من المنزل أوضح له : بقي بعض أولاد أعمامك وغادر البقية وغادر أصدقاء وأقارب عبدالله.

أرى أن تُدخل مَن بقي من أولاد أعمامك إلى منزلك وتهدّئهم بشكل أو بآخر وسأتبعك أنا بعد قليل.

اتفق معه : حسناً وليكن حضورك على زعم حسب موعد مسبق ..

وافقه : لقد فهمت وأغلق.

وصل الرجل إلى فسحة المنزل فوجد تجمع لأولاد عمه وأعمامه أبو ياسين وأبو محمود وأبو هاني وأصدقائهم ..

قال عدد منهم : ها هو الأستاذ أبو عرب وصل.. وصل أبو عرب.

بعضهم قال : أين كنت؟ والبعض قال : لقد جاء أصدقاء عبدالله وعبثوا بهذه الأرض سنهدم البيت فوق رؤوسهم.

وصوت يقول: لا يحق لهم تحويل الأرض لملعب..

أحاطوا به وأكثروا من العتاب الغاضب ... وهو مازال يراقب بيت عبدالله

بطرف عينه . هل مازالت أدواتهم سليمة أحبال الغسيل أو براميل المياه أو .. الحمدلله لاشيء.

بقي فورة الدم وستهدأ النفوس الآن ...

قال : اهدؤوا وكل ما تكلّمتم به ستتحدّث به في الداخل ..أخرج المفتاح وقال لهم : تفضلوا ..

دخلوا وتدافعوا عند الباب . غالبته ضحكة خفيفة فهم يتزاحمون في المراكب وفي الأفران والمؤسسات وحتى في هذه الحالة! ....

....

جلسوا منتظرين جلوسه وعليه التصرف بحكمة

فجاملهم قائلاً : أهلاً وسهلاً بأعمامي وأولاد أعمامي الأعزّاء الذين اشتقت إليهم ، كيف حال الجميع؟ لم يرد عليه أحد فأراد أن يبدّل الموضوع

فاستدار بوجهه لعمه أبو محمود وهمس : عرض عليّ متعهّد العمار مزايا رأيتها لا تناسبنا فطردته .. وقبله قابلني أحد تجار العقارات وعرض أن ينهض هو بالمشروع لكنه حدد لنفسه ستون بالمئة والإكساء الخارجي علينا نحن فطردته أيضاً ...

أنا أنتظر متعهّداً ابن حلال ويرضي طموح الجميع.

فقفز محمود وصاح : لكن يجب على عبدالله الخروج من المنزل ليتم هدمه وأيّده ابن عمه هاني قائلاً:

إن أصدقاء عبدالله يحضرون ويحوّلون الأرض إلى ملعب وكأنهم أصحاب الأرض .. ثم توجه لعمه أبو ياسين قائلاً : هذه العائلة دخيلة علينا ألا يكفي أننا تحمّلناهم عشرين سنة؟!

شاركه عمه أبو ياسين قائلاً : يرمون لنا بعضاً من النقود كل شهر وجاثمين على رؤوسنا لا يقيمون لنا اعتباراً ، كانوا سيحفرون الأرض ليزرعوا الأشجار

اقترح عمه أبو هاني: أنا أجد لهم دار لينتقلوا إليها، عليهم الخروج من الدار وإلّا سنهدمها على رؤوسهم .

أيده آخر: تكلم يا أستاذ فأنت الذي تسايرهم ولا تحاسبهم ..

قال : أرجوكم أن تهدأوا حتى تسمعوني جيداً . ذكرت لكم أني أنتقي المتعهد المناسب لنا والذي يرضى بأن تكون حصّتنا خمسين بالمئة والإكساء الخارجي والخدمات عليه ...

أما بالنسبة لعائلة عبدالله . فهم ملتزمون بحق الجيرة ولم يصدر منهم أي سوء لاسمح الله .. فارتفعت بعض التمتمات.

فأضاف : الغلط جاء من الأولاد الضيوف وهم لا يعلمون شيئاً أصدقائهم هم الذين عبثوا لا ذنب لعبدالله .

هنا بدّل عمه أبو محمود جلسته ووقف متوثّباً متحفّزاً قائلاً : اسمعوني ..

شعر أبو عرب بالانزعاج في داخله وقال : ليته يطيل الصمت ويسكت

رفع عمه إصبع كفّه ملوّحاً في وجه أبو عرب عابس الوجه مهدداً :

إن لم تستجب لرغبة أعمامك وأولادهم فإننا سنسحب توكيلك ونستطيع منعك من دخول بيتك لأن المحضر كلّه مازال باسم أبينا فهمت أم لا؟

تجمّد أبو عرب بموضعه ولم ينبس ببنت شفة !

في هذه اللحظة بالذّات سمع صوت أقدام تقترب. تنفس أبو عرب الصعداء لأنه اعتقد بأن عمر سيكون منقذه الوحيد في هذه الورطة فتشجّع ورفع رأسه

وقال:

أنا الذي سوف أقود توزيع الحقوق بما يرضي الله سأتفق مع متعهد ممتاز وأمّـا عائلة عبدالله فهم لم يؤذوننا بشيء وكل شهر يدفعون ماعليهم فبأي حـق نطـردهم ونرميهم على الرصيف وأنا الذي ...

نادى عمر : يالله .. هل من أحد هنا؟ أستاذ أبو عرب أين أنت؟

فدعاه للدخول مرحّباً وسط تأمّل الحاضرين وغيظهم

فجاملهم عمر : ما هذه اللمّة الجميلة .. السلام عليكم .. لم يرد أحد

فتدّخل أبو عرب : إذا حيّيتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها أو ردّوها

فردّ عمه أبو ياسين وأبو هاني وأبو محمود بجفاء

أضاف عمر: عفواً يا أبا عرب كأنني حضرت بوقت غير مناسب لا تؤاخذونني

فلم يردّ أحد .. فأسرع بالقول : ما هذا الكلام! نحن أخوة.... تفضل اجلس

فجلس مسرعاً وشكره

فتملّمل الحاضرون من جلسته ..

استأنف أبو هاني الهدوء ونادى : أنت يا حاتم !

التفت الحاضرون حولهم . إذ لا يوجد من اسمه حاتم

فاتجه نحو أبو عرب وصاح : أنت .. وأشار ..سأل أبو عرب: أنا؟

أجاب : نعم أنت . سمعت أنك تحاول إدراج اسم عبدالله حين توزيع الشقق . حاتم الطائي لم يفعل ذلك ما هذا الكرم ؟!

نافياً : لا أبداً الحق حق . هذا المحضر لنا وحدنا ولن أفعل ما يخالف شرع الله سبحانه وتعالى . لا تلتفت إلى مايقال، ثم غيّر نظره إلى محمود وقال ساخراً حانقاً : هل أعطى حاتم الطائي شقة لغير المستحقين في عمارته ؟

فأجاب بعفويّة : هو حر بعمارته وشققه ، نحن لنا محضرنا وشققنا وحاتم الطائي له محضره وشققه !

فضحك عمر وياسين وأبو عرب وبقي البقيّة على حالهم ..

....

في اليوم التالي أراد أن يطمَئِن على عبدالله ، توجّه إلى باب بيتهِ .

سَمِعَ صوت سعاله من بعيد.

كان الباب مفتوحاً رأته مريم وصاحت عمّو الطيّب وهي تقصد أبو الطيّب

كما يناديه أبوها وأمها وركضت نحوه وفتحت ذراعيها ورفعها وعانقها

سألها : أين أبوكِ يا مريم ؟ ردّت : في الداخل . لماذا لا تأتي إلينا؟

أجابها : كنت منشغلاً قليلاً ، قالت له : حتى لو كنت منشغلاً يجب عليك أن تأتي لتراني فقد تعلّمت رقصة جديدة تشبه رقصة الأرنب فضحكا معاً ..

فخرج والدها من الغرفة مرحّباً : تفضّل يا أبا الطيب .

توجه نحوه حاملاً مريم المتمسكة برقبته صاح بها : انزلي يا مريم فشدته أكثر ورفضت وقالت : لا .. كرر عبدالله : انزلي عن عمك يا بنت

قالت : لا... لن أنزل وشدّت نفسها أكثر تدخّل أبو عرب وقال : أنا أعرف كيف أنزلها ثم همس بإذنها : ما رأيك أن نرقص ؟ هزت برأسها بالموافقة فأفلتت

رقبته ونزلت وكأنها تنزل من على جذع شجرة ..

سأل عبدالله مندهشاً : بماذا همست لها؟

فبدأ يرقص معها ... واحد ، اثنان ، ثلاثة .. بحركات متوافقة تدل على فرحة الطفل بالنجاح فابتسم عبدالله سعيداً وضحكوا جميعاً

فخرجت سالي مبتسمة ومرحّبة : أهلاً وسهلاً بجارنا أبو الطيب

رد : أهلاً بك .. فأشارت : تفضلوا إلى الغرفة

سرّ بينه وبين نفسه لأنها تناديه بهذا اللقب ذلك لأنه طيب القلب وأهله أيضاً كانوا يلقبونه بهذا اللقب.

«سالي هذه تبلغ حوالي الثلاثين من عمرها .. نحيلة الجسم شعرها أسود طويل ناعم بشرتها بيضاء طولها معتدل عيناها واسعتان ملامحها شفّافة هادئة قليلة الكلام ملتزمة بكل قواعد الأدب والتهذيب»

دخل الغرفة وتذكّر «كيف كان يدخلها قبل عشرة أعوام .. عندما كان والد عبدالله حياً ».

لمح وجود كتاب جانباً استطاع قراءة آخر كلمة من العنوان وهي «النبوية»

ربما تكون السيرة النبوية.

التفتَ إلى عبدالله وأخبره كم لهم فيها أوقات ممتعة

قال عبدالله : أتذكر كم قضينا فيها ساعات سرور وسعادة.

أضاف : رحم الله والدينا كانوا يؤكدون على أننا يجب أن نبقى محبين لبعضنا ومحترمين لدين بعضنا البعض. الدين النصراني والدين الإسلامي هما من عند إله واحد

هو خالق الكون وهو وحده من سيحاسبنا وسيدخلنا إلى الجنة أو النار والعياذ بالله ..

شرب الشاي وخرج وقلبه مليء بالاطمئنان فنادى ربه : يارب الوجود هؤلاء عبادك اهدهم إلى صراطك المستقيم إنني يارب أحب كل من يعبدك أنت وحدك وأحب كل من يحبك.

وهو في صمته هذا سمع صوت عجلة تقترب منه ومحركها يهدأ رويداً رويداً

التفت فوجد صديقه عامر ذو العباءة البيضاء يريد التحدث إليه .

توقف وصافحه مسلّماً وقال له : اركب ، سأله : إلى أين؟

أجاب : اركب وسأخبرك إلى أين

استفسر : خيراً خيراً ! لماذا أنت على عجل من أمرك؟

رد : أرجوك اركب ، اركب وساعدني بالذهاب معي.

فركب . أتم : سأقول لك في الطريق ، وانطلق مسرعاً كقفزة حصان من فوق حاجز وكاد أن ينزلق إلى الخلف لولا أنه تعلّق به جيداً.

أخذ يسير بسرعة جنونية كبيرة .. صاح به : لا تسرع خفف السرعة ، لم يستجب الرجل لندائه ، كررها ولم يستجب لندائه.

خاطبه : بالله عليك يا عامر .. عامر فردّ : ماذا تقول؟

فصاح : بالله عليك تروّى بالقيادة.. رد عليه : تمسّك بي جيداً

أخذ الرجل يتمتم في سرّه : لن يفيدني الآن إلّا الدعاء ، يالطيف .. يالطيف

أخذ يزاحم السيارات يميناً وشمالاً ومرة يخفف ومرة يسرع إلى أن وصلا إلى الشارع الرئيسي ولكن حركة السيارات قليلة على ما يبدو وخفّف في سرعته

قال له : اتركني .. فأدرك أنه يشدّ نفسه عليه كالطفل الخائف المعانق لوالده.

....

فتركه وقال له : ما هذا يا عامر لماذا أتيت بي إلى هنا ؟

فأشار إلى نهاية الشارع في مشفى الرحمة ، نظر وإذ هي مشفى الرحمة ، فأدرك أن له مريضاً أو مريضة في المشفى ويريد وساطة منه لأن ابن خالته أحمد خليل الورداني موظف في هذه المشفى ..

مشى معه إلى المشفى وكأن السم يقطر من شفتيه غاضباً حانقاً معترضاً : ماذا دهاك يارجل! تقول لي اركب دون كلام في الطريق أناديك فتسرع ولا تقيم لي اعتباراً والآن تقول انزل والآن ستقول لي : ادخل وبعدها سـ...

فقاطعه ضاحكاً :.. هكذا أنت يا أستاذ أبا عرب لذيذ وظلّك خفيف وشدّه إليه وقبّله من جبهته وطلب عذره ، ولكن أبا عرب وقف متجهماً عابساً إلى أن ينتهي الرجل من ركن دراجته بجانب العمود على الرصيف المقابل للمشفى .

سأله بانزعاج من لك هناك ؟ أجابه : جدتي هي هناك منذ عشرة أيام والآن سيخرجها الأطباء بعد إتمام الكشوفات والأشعّة والتحاليل وأريد واسطتك مع ابن خالتك أحمد خليل في إجراءات التخرج ودفع الفاتورة.

قال له : يمكن لابن خالتي المساعدة في الإجراءات الإدارية كالتوقيع وتجاوز الدور قدر المستطاع. أمّا الفاتورة فلا تجوز .. هذا حق

رد : هو يعرف وقادر على ذلك ومشى ..

....

دخلا وسألاه عن مكتب أحمد فكان في نهاية الممر فطرقا الباب ثم استأذنا

بالدخول..

وبعد السلام طرح عليه اسم جدته وشرح طلبه منه فأجابه بنفس جوابه أنه يستطيع تسهيل بعض الإجراءات لاختصار الوقت

أما النقود فلا يمكن المساس بها لأنها حق عام وهو مؤمّن عليه وأخبرهما بأن يرتاحا قليلا ريثما يقوم ببعض الإجراءات .

شكراه وتوجّها لاغتنام الوقت لأداء صلاة الظهر.

....

في مسجد المستشفى ، جلس أبو عرب على مقعد مخصص للجلوس ينتظر من الآخر إتمام الوضوء.

أخذ ينظر إليه متأملاً بما فعله فما كان منه إلّا أن رفع العباءة التي يرتديها إلى وسطه الأعلى من جسده وأدخلها تحت حزام سرواله وبدء بالدعاء ثم بالكفّين ثم بالوجه والرقبة والذراعين ثم رفع رجله اليمنى إلى الصنبور وهو ينظر إليه فأخذ يفرك أصابع قدمه فرمق جزء من عورته أي ما فوق الفخذ بقليل وبدون قصد فأشاح بوجهه مستغفراً لله العظيم ثم صاح به قائلاً : استر نفسك يا عامر. ماهذا! لاحول ولا قوة إلّا بالله.

سأله : ماذا رأيت ؟ أجاب : استر نفسك عورتك ظاهرة وأنت تتطهر من ذنوبك قال : اشتريت هذا السروال من يومين لكنه واسع ماذا أفعل به أرميه ؟

رد : اشتريته ، بعته ، جديد ، قديم ، ترميه ، تحرقه افعل ما تشاء المهم أنه لا يجوز أن تكشف عورتك أمام أحد يا رجل ماذا دهاك ؟!

فأخبره: بأنه سيبقى يرتديه شهراً أو شهرين ثم يرميه إنه جديد ودفع ثمنه.

رفع أبو عرب سبابته غاضباًوأشهد أن لا إله إلّا الله . ثم أخبره: بضرورة إعادة الوضوء. فرد عليه : يا شيخ اترك الأمور لله ، قم لصلاتك.

صلّا .. وإذ بالجوال يرن فعرف أنه أحمد فنهضا وخرجا مسرعين .

....

ذهبا إلى مكتب التخريج فوجدا جدته واقفة بجسدها النحيل الضعيف وبيدها كيس فيه بعض الحاجات وأحمد واقف وبيده بعض الأوراق.

شكر أحمد وطيّب خاطر جدته ببعض العبارات وهمس أحمد :

يترتب عليك دفع هذا المبلغ وهو بسيط وأعطاهما الوصل ثم نظر عامر إلى كلاهما وهمهم: تصرّف بمعرفتك أستاذ أحمد وغمزه غمزة ذات معنى

رمقه أحمد وأردف أن هذه أموال العامة ولا يجوز العبث بها ..

أضاف عامر : يارجل الله يعلم حالتي وسيسامحني تصرّف ، أنت تعرف مداخل الأمور ومخارجها دبّر الأمر .. ونظر أحمد إلى أبي عرب نظرةً ملؤها الغضب وتحمل الكثير من الإشمئزاز وأشاح بوجهه مستنكراً

أجابه منبهاً : قل له أن كلامه كله خطأ

قال أبو عرب : إنه مشفى عام وجدّتك نامت فيه فترة طويلة يا عامر ولا بد لها من أن تدفع بعض التكاليف الرمزية.

فأصرّ على موقفه : أمور الدنيا كلها تسير بواسطة ، أنت الواسطة يا أستاذ أحمد .

شَعر أبو عرب بالخجل من شدة جهل عامر وقال في خلده : لقد أذنبت بحق نفسي أولاً وبحق أحمد ثانياً ..

أخذ الوصل من أحمد وقال : هات أنا أدفع المبلغ .. أنا السبب بهذه المهزلة ...

ذهبا وبالفعل دفع أبو عرب المبلغ وشكر أحمد واعتذر منه على مابدر منه.

....

-خرجوا جميعا وأرادوا أن يعبروا الشارع ليصلوا إلى الطرف الثاني عند الدراجة النارية

عند وصولهم إلى منتصف الطريق اقتربت منهما سيارة مسرعة فأسرع عامر وقفز إلى الجزيرة التي تفصل ذهاب السيارات وإيابها وترك جدته الضعيفة البطيئة المريضة بجانبه أمام السيارة فما كان منه إلا وشدها من ذراعها وأسرعا إلى الجزيرة وسط الطريق .

لقد مرّت السيارة المسرعة من جانبها تماماً ولامست ثيابها لولا لطف الله لكانت صدمتها وأردتها بلا حراك ..

صاح غاضباً : كيف تسبقنا وتقفز وتتركنا بخطر !!

أجاب معترضاً : أنت لمست جدتي مرتين أنت رجل وهي امرأة. نظر أبو عرب نظرة غضب مكبوتة وقال : أنقذتُها من دهس مؤكد .. فأصرّ على قوله : عيب

فأجابه فاتحاً فاه : ما العيب في شدها إلى حافة الأمان لمست السيارة ثيابها

فأكد : لكنه عيب . نظر إليه من رأسه حتى أسفل قدميه كمن يقيس الطول.

قال : شددتها ثم أمسكت بيدها اتقِ الله ، فما كان منه إلا أن نظر إليه نظرة تقطر سمّاً وتركه ومشى غاضباً .

ثم أشار لسيارة مارّة وركب فيها والدم يغلي في عروقه .

عندما استند على مقعد السيارة استرجع ما مضى وكيف استوقفه عامر ، وأتى به إلى المشفى وكيف استخدمه أحمد واسطة وتهرّبه من دفع المستحق عليه ، وماجرى أثناء الوضوء ثم موقفه الأخير بخصوص إنقاذ جدته من الخطر لقد صمّم على حذف هذا الرجل من قاموس أصدقائه.

....

نزل من الحافلة .

وتوجه إلى المقهى ليلتقط أنفاسه ويهدأ قليلاً ..

....

فطلب كأساً من الشاي أثناء جلوسه تذكّر أنه مدعوّ لحضور اللقاء الاجتماعي في المدرسة مساء اليوم وعليه تحضير كلمته

عندما يدخل إلى منزله سيحضّر للكلمة التي سيلقيها .

في العام الماضي أيضاً دعوه للحضور وإلقاء كلمة في مثل هذه اللقاءات.

وفي لحظات تأمّله تلك دخل طفل في الرابعة أو الخامسة من عمره يتسوّل ويطلب من الجالسين النقود وبحجج كثيرة.

تأمّل الطفل هذا فخمّن إما أنه يقيم بقرب منزله أو يقربه .. فقال في خلده : ليس غريباً عني ... إنه ... إنه .. نعم عرفته إنه ابن عمي أبو محمود .. يا للهول .. ابن عائلتنا يتسوّل .. ياسواد سمعتنا ... تلفّت حوله ، ماذا يفعل؟.

أولاً عليه التيقّن أنه هو فعلاً ... ها هو يقترب منه .. استدار إلى الناحية الثانية حتى لا يرى وجهه .. ربما يهرب أو يخجل .. إنه يتسوّل قال له : حسنة لله من مال الله أبي مريض أريد شراء دواء له

أشار له أبو عرب : اجلس هنا وسأعطيك خمسة فجلس فاستدار نحوه فكانت مصيبة كبيرة عندما رآه .. نظر إليه بدهشة ثم كلّم نفسه بصوت خافت ..

قال: عمي أبو عرب !!

فأجاب : خذ وأعطاه خمسة . رد : لا ، أضاف أبو عرب : خذها

قال الطفل : لا .. لا .. كنت أمزح معك عمي أبو عرب فتظاهر بأنه صدّقه ..

هذا طفل ذكي .

حضر النادل وسأل عن طلبهما ، قال أبو عرب : قهوة .. وشاي للكابتن وقد لمّح بكلمة الكابتن للدلالة على اسم الطفل الذي قد نسي اسمه.

سأله : ألا تريد مصاحبتي على هذه الطاولة؟ فسكت الطفل ... أحضر النادل القهوة والشاي

سأله : كيف حال أبيك ؟ أجاب : بخير يسلّم عليك ..فأضاف : لماذا لم يستشيرني أبوك في مشروعه الجديد؟

فأجابه مسرعاً : لو استشارك لما نصحته بالزواج .. فقال له : اشرب الشاي

هذا الكلام جديد على أبو عرب . إذاً عمّه تزوّج من جديد !

قال له : وما حجّته هذه المرّة ؟

أجاب : شرع الله . الشرع سمح له بالزواج حتى أربع . هو يكرّر ما سمعه . فبعض الذين يكرّرون الزواج لا يفقهون شيئاً عن الإسلام وتشريعاته .

يأخذون الظاهر ولا يريدون أن يتعمّقوا في معرفة لماذا أحلّ الله الزواج مثنى وثلاث ورباع. لو أنهم درسوا لماذا كرر النبي المصطفى الزواج لفهموا العِبرة.

هناك عدد من المصلين يقعون بالخطأ ويتناولون المسكرات فيوقفون الصلاة كلياً مستندين حسب قصر عقولهم إلى قوله تعالى في سورة النساء:

﴿لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [آية ٤٣] ... وبذلك وقعوا بكل الأخطاء..

عزم أبو عرب على الذهاب إلى بيت عمه ليستفزّه قليلاً . بما أنه علم سراً عنه شرب القهوة وغادر.

....

أثناء سيره خطر في باله خاطر قديم حديث ألا وهو لماذا لم يتزوّج حتى الآن؟...

لا توجد أسباب جوهرية .. مشاغل الدنيا؟ المشاغل لن تنتهي ، النقود ؟ .. لا أبداً هو يملك من النقود ما يكفي لإتمام وإنفاق تكاليف الزواج كلها ويزيد الكثير .. الحقيقة لم يصادف من يهواها ...

إنه السبب الذي أخّر زواجه حتى الآن .. بكل الأحوال هو مهمل ومقصّر بحقّ نفسه هذا خطأ من أخطائه.

عدم العناية بالنفس البشرية .. كيف ذلك وهو قد أمضى شبابه يدرّس مادّة الفلسفة وعلم النفس . هذه قضايا اجتماعية نفسية انا مهمل لها (محدثاً نفسه) أهتم بغيري ولا أعطي نفسي حقها إنني كالنجّار وباب بيته مكسور.

اقترب من السوق يلتقط أنفاسه تحت ظلّ شجرة متأملاً المارّة ..

هذان زوجان... وكأن عُمر الزوجة قريب من عُمر الرجل ، رشيقان في المشي يكثران الحركات مع الكلام يضحكان وكأن الحديث الذي يدور بينهما لا يخص السوق...

في الناحية الأخرى رأى زوجان يبدو على وجهيهما علامات الغضب ، ينظران إلى البضائع المعروضة بقرف ، ليس لأن البضائع مقرفة بل لان الحالة التي وصلا إليها مقرفة ..

غلاء الأسعار ، قلة النقود ، علامات البؤس على محيّاهم . فرق كبير بين هذين الزوجين والزوجين السابقين.

إنّ تلبية مطالب البيت من واجبات الزوج ومن حق الزوجة أيضاً أن تُلبّى

حاجاتها .

إن هذا الموضوع كالمطاط يتحمّل الشّد والجذب .

إن كل علاقة بين زوجين لها أسبابها ومبرراتها سواء أكانت خلافية أو اتفاقية ضعف وقوّة البشر حكمة الله أن يترك لنا هذا الميدان الواسع من النقاشات ..

لو عدنا إلى البدء في إنتقاء الزوجة نراه مختلفاً بين الشباب في وجهة نظرهم

منهم من يُقدم على الزواج لأنه اندهش أولاً لشّدة جمالها ثم امتلكت كل حواسه فأقدم على طلبها .. ومنهم من يختار الفتاة ابنة العائلة الحاكمة أو المالكة .

الحب يأتي فيما بعد .. الاتفاق والودّ واللطف والتضحية واللذّة كل هذا يأتي بالتدريج المهم حصلوا على الارتباط الظاهري أولاً

وماذا إن لم يحصل أي شيء من الذي ذكرناه؟... سيحدث الطلاق حتماً ..!

إذاً أيهما أصح من يُقدم على الزواج حبّاً وإعجاباً أم من أجل إتمام صفقة؟.

هذا الأمر سهّله لنا الرسول محمد ﷺ حين لخّص النقاشات كلها بثلاث كلمات « فاظّفر بذات الدين »

سأل نفسه أيضاً : لماذا أنا أتبحّر وأغوص في هذا كله ...؟

م ... السبب أني مقصّر بحق نفسي أنا ابن آدم ضعيف

لماذا لا أقول : ربما كتب الله لي فتاة لم يحن الوقت ليخفق قلبي لها ..؟ ياترى ذات دين أم ذات الـ...

تلفّت إلى مفارق الطرق تمتم: هذا الشارع لا يؤدي إلى زقاق منزل عمي .. إذاً كعادتي أتوه في السير عندما أحدّث نفسي .

وأما إن كنت راكباً في السيارة وشردت تقطع السيارة المنطقة التي أقصدها ثم

أعود بسيارة ثانية !

....

سار إلى الزقاق المقصود وها هو الآن يقترب من البيوت التي في نهايتها بيت عمه أبو محمود.

لم تصدق عيناه ما رأى.....

أطفالاً يلعبون بكرة صنعوها من قماش.... ، دراجة عادية يحيط بها ثلاثة أطفال وكلٌّ يشدها ناحيته ، فالأول حافي القدمين والثاني لا يرتدي قميص والثالث بنطاله ممزّق.

هناك فتاة في السادسة من عمرها تحمل أختها الصغيرة وكلاهما على ما يعتقد لم تستحمّا منذ عشرة أيام ، وخلفه طفلة يغطي وجهها الذباب لم يلمس المشط شعرها منذ وقت طويل وعلامات المرض بادية على وجهها ..

يا إلهي!!! ما هذه الحالة التي وصل إليها سكان هذا المكان ...؟

وصل إلى باب حديد مهترئ أسود اللون .

طرق الباب عدة مرات فالتفَّ حوله عدد من الأولاد متراكضين .. من سيتكلّم أولاً ..سألوه : أتريد منزل أبي محمود؟ فأجابهم: نعم .

قال الطويل منهم : أهلاً بالأستاذ أبو عرب فرد عليه : كيف حالك ؟

أجاب : الحمد لله ، أنت ابن عمي أليس كذلك؟

أجاب : نعم ، أنا مصطفى .. أضاف : نعم مصطفى تذكرتك كنت طفلاً صغيراً أصبحت طويلاً الآن

ذكر في خلده: إنه يشبه أخاه الذي رأيته في المقهى ، سأله هل هؤلاء إخوانك وأخواتك؟

رد : ليس كلهم الثلاثة الذين يشدون الدراجة من خالتي الثالثة والطفلة التي تجلس هناك من خالتي الثانية و ... قاطعه: كفى كفى . لماذا لا يجيب أحد من الداخل !

همس مصطفى : الجميع في الداخل يتشاجرون دوماً مع بعضهم . سأله : أمن أجل ذلك أخرجوكم إلى الشارع؟ فأجابه : نعم ، سأدخل لأناديه

قال : ادخل وإذا قال أدخله لن أدخل بل يخرج هو إلى هنا .. أجاب : حاضر ودخل .

جال نظره بين هؤلاء الأطفال وقد جردوا من طفولتهم . هم كالقطط المتشردة يأكلون ويشربون في الشارع ثم ينامون متسخين في أماكنهم ثم ... ثم ...

أهؤلاء رجال المستقبل؟ أهؤلاء زهور الحياة؟ أهؤلاء أكبادنا التي تمشي على الأرض! «أين أنت يا حطان بن المعلى؟».

ما ذنبهم لتتحول حياتهم إلى شقاء وتشرد؟ مَن الذي جنى عليهم؟

هل الإسلام شرع تكرار الزواج لتتحول حياة الأولاد إلى جحيم؟

إننا بحاجة ماسّة لنعيد فهمنا للتشريع الإسلامي الصحيح إنهم منهزمون من الداخل لا أمل لهم ولا نشاط ولا سعادة ولا أي شيء

ياه لقد تعبت مشاعري .. أصبت باليأس أكثر إنه الإحباط.

خرج أبو محمود وخلفه مصطفى . صاح : مرحباً بك أبو الطيب تفضل « ناداه أبو الطيب لأنه يعلم أن هذا اللقب يسر قلبه »

رد: شكراً عم . كيف حالك؟ أجاب : الحمدلله كل شيء على مايرام ..

همس ساخراً : على ما يرام! ثم استطرد قائلاً : أحببت أن أحضر إليك لأعتذر لو صدر مني أي كلمة أو أي ردة فعل في آخر لقاء. قاطعه قائلاً وبصوت خافت : لماذا لا تطرد عبدالله من المحضر هه ؟

هل هو صاحب ملك ؟ هل له حصة بالمحضر؟.

قاطعه قائلاً : ياعم هؤلاء من النصارى الذين يحبون الله . إنهم موحّدون لله ويقدّرون النبي محمداً وأنا سمعت أهلهم قبل أن يتوفوا يقولون إننا نؤمن بالله ونصدق القرآن ولا يؤذوننا بشيء ولا يتعدّون على أحد ويعطوننا أجرة البيت كل شهر ... لا تنسى وصيّة أبي رحمة الله عليه

قاطعه قائلاً : أعرف أعرف أخي كان يحب والد عبدالله أكثر مما يحبني .

فَقَاطَعَه قائلاً : كلنا سنموت يا عم ولن نأخذ معنا إلا العمل الطيب العمل الصالح العمل الخيّر و ...

وفجأة حضرت فتاة في العشرين من عمرها وهي بكامل زينتها ..

وقفت خلف عمه واحتضنته من الخلف فارتبك لا يعرف ماذا يقول أو يفعل. قال في خلده : تصّرف يا رجل أنت الذي حضرت لتحرج عمك ها أنت مُحرج .

داعبه عمه : ألا تبارك لي؟ أجابه متجاهلاً : بماذا أبارك لك ؟ رد : بالزواج .. انظر ملكة جمال بحق أم لا؟

في فكره عدة إجابات لكنه تريّث في الإجابة ليختار الزاوية التي ينطلق منها للإجابة .

سأله وهو يتلفت حوله : أهؤلاء الأولاد كلهم أولادك؟

أجابه : الثلاثة الذين على الدرّاجة لي من الثالثة والصغيرة التي تجلس هناك من الثانية. فقاطعه متسائلاً :

صاحب البنطال الممزق والأنف الذي يسيل والطفلة التي أكل وجهها الذباب ممن؟

أجاب : من الثالثة لكن أمها ستمسح لها وجهها. استفزه :أيصح أن يكون أولادنا هكذا ياعم!

رد : في آخر النهار يدخلون و ... فهمست الفتاة في أذنه ففهم أنه نجح في تعكير مزاجها ومزاجه أيضاً.

سأله عمه : إلى أين أنت ذاهب الآن ؟

أدرك أنه يريد طرده ليتخلص من استفساراته . قال له : سأذهب لأقضي بعض الأعمال .. السلام عليكم.

وعندما خطى خمس خطوات قال : وعليكم السلام. وعندما خطى ثماني خطوات سأله: ألا تشرب الشاي ؟

أجاب : سأشرب الشاي عندما تعود من الحجاز ياعم وتابع سيره دون أن يلتفت.

هو مقتنع أنه نجح في تحقيق الهدف من قدومه إليه

قال في نفسه : عليّ الآن العودة إلى المنزل لقد تعبت ويجب أن أرتاح لأستعد لحضور اللقاء الاجتماعي في المدرسة مساءً.

....

بعد عشر دقائق وصل إلى فسحة الدار .. شمّ رائحة الثوم والكزبرة المحمرين

بالسمن .. إن هذه الرائحة من مطبخ منزل عبدالله. سالي تطبخ الملوخية ..

سال لعابه. هو جائع ... ضعُفَت نفسُه . بدأ يحرّك لسانه ويمتص شفتاه . أقدامه بدّلت الاتجاه .. بدل أن يمضي نحو باب منزله توجه إلى منزل عبدالله وقبل أن يصل سمع سعال عبدالله.

عليه الآن بالتفكير قبل أن تشده شهوته للطعام إلى قلة ذوق مهينة وعبدالله مريض ومتعب وربما تكون سالي منهكة ومتعبة كيف له بالتطّفل عليهم؟

اختلطت مشاعره هنا واضطربت .. أيطرق الباب ليسأل عن عبدالله أم أن رائحة الطبخ هي التي شدته؟.

ما حقيقة مشاعره؟ حدّث نفسه .. فاختار أن يدخل إلى بيته هذا أفضل حل .

خطا عدة خطوات فسمع صوت فتح النافذة

إنها سالي فتحت النافذة لتهوية المطبخ. نادته : أبا الطيب فتوقّف مرتبكاً سألها مسرعاً عن عبدالله . فتحدثت مع زوجها قائلةً : أبو الطيب يسأل عنك .

أجابها : قولي له تفضل

دعته سالي : تفضل فما كان من مريم إلا أن قفزت إلى النافذة ونادت : عمو أبو الطيب عمو أبو الطيب. فأمرتها أمها بالنزول

نزلت مسرعة ، وسمع صوت وقع أقدامها وهي تسرع لتفتح الباب ..

فتحت مريم الباب وكان عبدالله خلفها حاملاً منديله وهو يسعل وأومأ إليه بالدخول فدخل ..

....

سأل عبد الله : هل تتناول دواءك بانتظام؟ أجاب عبدالله وهو يسعل: يا أبا الطيب أنت تعلم أن الذي كتبه الله سيحدث لا محالة.

أخبره : إن كثرة الدعاء ترفع البلاء . تدخلّت سالي : عندنا دواء يأخذه عند اللزوم فطلب منها إحضاره.

تحدثت وهي تمد يدها لفوق الثلاجة : سأعطيه واحدة منها ثم قدمت له كأس من الماء وذكّرته : قل بسم الله الشافي أخذها وأضاف : بسم الله الشافي المعافي وتناولها.

أسرعت مريم وأحضرت جهاز بسيط يوضع على الأنف لتصفية الهواء. هدأ عبدالله قليلاً فذكرت مريم بعفوية وكأنها تحدث نفسها .. الحمدلله .

سمعها وودّ لو أنها تعيدها مئة مرة ... يا لهذه الأحرف الثمانية كم أثّرت في نفسه لم يسمع أرق ولا أعذب ولا أصدق من هذه الفتاة ذات الأربع سنوات.

تنهدت وهي ترقب والدها الذي انتقل من مرحلة الخطر إلى مرحلة الأمان.

حمدت الله بصوت صادر من أعماق القلب لا من الحنجرة فقال بينه وبين نفسه إن أعطاني الله عمراً سأبقى راعياً لهذه الفتاة مادمت حياً.

يجب عليه الخروج الآن ..

وقف مسرعاً وقال : الحمدلله على السلامة سررتُ بلقائكم فشكروه....

سألته سالي: ألا تريد أن تتناول طعام الغداء؟ أجاب مداعباً : في المرة القادمة! احسبي حسابي.

....

ركض إلى منزله وفتح الباب وهو يفك أزرار البنطال قبل أن يصل إلى الحمام ودخل دون أن يشعل النور

ذكر في خلده : كم هو ابن آدم ضعيف ..

ثم سأل نفسه : ماذا عليّ الآن فعله ؟ لقد حلّ المساء وأنا مدعو لحضور اللقاء الاجتماعي ... لكنني جائع .. الكلمة التي سألقيها أهم من تناول الطعام.

حمل ورقة وقلم وجلس على الأريكة رافعاً قدميه ليبدأ بالكتابة :

أيها الحضور الكرام السادة وجهاء الحي الذين تشرفنا بهم .. ثم حذف كلمات «الذين تشرفنا بهم» وكتب الذين نرحّب بهم .. أبنائي الطلاب ... ثم فجأة سمع طرقاً خفيفاً على الباب.

ترك القلم وقام متثاقلاً وفتح وإذ بمريم تحمل طبقاً من الملوخية ومعه رغيفين من الخبز .. أعطته إياه وقالت : هذا من بابا

قال : حسناً يامريم شكراً لك واشكري والدك.

أخذه مبتسماً .. عادةً يحدّث مريم أكثر من ذلك ماذا عساه يفعل والوقت يمرّ سريعاً.وضع الطبق جانباً وأكمل كلمته ... أين وصل؟ ... وصل إلى أبنائي الطلاب إنكم .. رائحة الملوخية بالكزبرة والثوم تفوح في أرجاء الغرفة.

أكمل محدثاً نفسه : إن لم أرَ طلاباً لن أقول أبنائي الطلاب ... سأقول ... امتلأ فمه باللّعاب من الرائحة .. هو جائع .. كتب : اسمحوا لي أن أعبّر عن .. عن ماذا؟ عن.. عن جوعي ..

أصابعه ترتجف ، رمى القلم جانباً وأخذ رغيف الخبز وأسرع : بسم الله .. وأكل ملهوفاً وكأنه محروم منه منذ وقت طويل وهكذا .. حتى أنهى الطبق.

همس متمتماً : سلّم الله يدك ياسالي .

حمد الله ونظر إلى الساعة وقال : الوقت كالسيف .. لا ليس كالسيف الوقت كالمنشار إن لم تتحكّم به نشرك .. عليّ إتمام الكلمة !..

شعر أنه بحاجة للماء .. شرب ثم جلس ومسك القلم مجدداً وكتب :

«إن أهم موضوع أراه يطرح نفسه بإلحاح هو... سمع صوت رنين جواله ، فتح الخط .. إنه صديقه عمر فهو لا يحدّثه إلا بالأمور الهامة جداً.

سأله : خير إن شاء الله . أجاب : السلام عليكم

أين أنت؟. امتلأت القاعة بالمدعوين

فسأله : هل أنت موجود بالقاعة؟.

أجابه : نعم والذي دعاك دعاني وقد سمعت أنك ممن سيتحدثون

رد متردداً : ولكني .. ولكني .. سآتي إليك حالاً . السلام عليكم ..

وقفل الخط متوتراً يدور حول نفسه ..: الكلمة لم تكتمل

ماهي إلا عشر دقائق وكان قد وصل إلى المدرسة ثم توجه مباشرة «إلى القاعة».

....

القاعة واسعة وجميلة يجلس عدد كبير من مختلف شرائح المجتمع رجالاً ونساءاً وبعض الشبان ومقابلهم على المنصة يجلس عدد من الرجال هم الذين سيتحدثون اليوم.

اقترب وبحث عن صديقه عمر ليجلس بجانبه فشاهده يرفع يده ليراه توجه نحوه فسمع صوت المتحدث مدير اللقاء ينادي : أستاذ أبو عرب

توقف ونظر إليه قال : تفضل لو سمحت تفضل إلى هنا وأشار إلى جانبه .. يجب أن يذهب إليه ويجلس على المنصة بعد خمس دقائق سيلقي كلمة ولم يحضّرها.

بدأ مدير اللقاء وهو مدير المدرسة بالحديث عن الحالة الاجتماعية وأثرها على النفوس وتحقيق الأماني والأهداف وأثرها بالتالي على مستقبل البلاد.

ثم عن الدين الإسلامي وضرورة التصدي لمحاولات تقليل أهميته في بناء المجتمع البناء السليم.

ثم فاجأه عندما قال : أترك الكلمة الآن للأستاذ أبو عرب تفضل أستاذ ..

تنحّنح في مكانه ورتّب قبّة قميصه ثم ابتسم للمدير وللذين بجانبه ثم التفت إلى الحضور وابتسم لهم وكل هذه الحركات ليستجمع قواه وكسباً للوقت ولإختيار الموضوع الأهم.

قال : بسم الله الرحمن الرحيم ..

أيها السادة الحضور يسعدني أن أكون بينكم وأتحدث معكم حول قضايا تهم وطننا وتساهم في فهمنا لأمور ديننا.

إن قضية البحث عن خالق هذا الوجود شغل الإنسان منذ آلاف السنين إن قضية الدين هي الشغل الشاغل للإنسان القديم ومازالت حتى يومنا هذا هي الشغل الشاغل لكل مفكر وباحث ..

وللأسف تراجع مفهوم تعلّم الدين الإسلامي من بعد موت الرسول ﷺ تدريجياً.

والسبب في عصرنا الحالي على ما اعتقد هو التقليد.

نعم نحن نقلّد الغرب عندما نضع مادة في المنهاج التعليمي ونقول: أن هذه الحصّة مخصّصة لمادة التربية الإسلامية أي تحوّلت الديانة والتي هي عقيدة وسلوك ومعاملة وعبادة تحوّلت إلى مادة تدرّس بالأسبوع مرة أو مرتين.

إن أول كلمة نزلت بالقرآن هي (إقرأ) أي الدين في حقيقته إطار لعملية التعليم ذاتها وليس من مفرداتها كبقية العلوم .. وفي عهد الرسول الكريم ومايليه من عصر الخلفاء ومابعدهم بقليل كان الناس مشغولون بطلب العلم.

وقد كان عصر الازدهار الإسلامي عصر له قيمته بين العصور ومع ذلك لم يوجد عالم إلا وله دراية بالدين الإسلامي الدراية الكافية ..

يقول المؤرخ الفرنسي (شارل رو) : لقد عمل مهندسو العرب في بناء كنيسة (نوتردام) ويقول (جوستاف لوبون) : إن أساس المنهج العلمي الحديث القائم على التجربة والملاحظة من عمل العرب وحدهم سبقوا به / بيكون/ وهل ينكر أحد أن علم الجبر تقدم بفضل علماء الدين الإسلامي.

فكان التعليم في بلاد الإسلام واحد لا يفرق بين العلوم الدينية والدنيوية.

هذا التفريق لا سند له في الإسلام. كلنا يذكر في التاريخ الغربي أن الكنيسة كانت تفرض قيوداً على من يتحدّث في أي علم فهي وحدها المتخصصة في علوم الفلك والطب والجغرافيا والتاريخ .

فرسّخوا بذلك عقيدة أن للعلم رجاله وأن للدين رجاله.

فلما استعمر الأوربيون البلاد الإسلامية عرفوا أن هذه الشعوب متمسكة بدينها وعلى دراية بأن العلم واجب وفريضة على كل مسلم .

وحتى يستطيعوا البقاء في مستعمراتهم لجؤوا إلى تخصيص مادة في المنهاج

التعليمي أسموها مادة الديانة أي مثلها مثل الرياضة والموسيقا والحساب.

ومن آثار هذا التميز ازدياد الفساد .. لأن اعتبار الدين وبقية العلوم سواء نظـرة خاطئة .

فمثلاً : إذا تخرّج المحامي من كلية الحقوق ولم يتفقّه بالدين ولم يخش الله فإنـه سيكذب ويبحث عن ثغرة في القانون ليبرّئ المجرم ..

ومثال آخر : الشاب الذي درس في كليات الطب إذا لم يكن عنـده خلفيـة دينيـة يدرك أن الله يعلم مافي قلبه فإنه سيلجأ للكذب على المريض ليسلبه أمواله أو يغشّ عندما يركّب خلطة دوائية معينة ..

وكذلك الجندي الذي يبيع أسرار الدولة للعدو وهكذا ...

أرجو في نهاية كلمتي أن يأخذ السادة المسؤولون ملاحظاتي بعين الاعتبار بـدءاً من هذا الوقت وأن لا يؤجّلـوا البـت في هـذا الموضـوع لأعـوام قادمـة والسـلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ما إن انتهى من هذه الكلمة إلا ودوّي التصفيق الحار علا جو القاعة ..

خاطب نفسه قائلاً : الحمـدلله لم أتلعـثم ولم أتوقـف كـان كلامـي سلسـاً ومـن المؤكد أنهم اقتنعوا بالذي ذكرته.

شكره المـدير وأعطـى «الميكرفـون» لشخصـية كانـت بجانبـه وكـان محـور الموضوع المسلمون في الغرب وكيف أن المعتنقين للدين الإسلامي بازدياد ...

وتحدث إلى أن انتهى اللقاء وعاد كل إلى ما يشغله.

....

مشى أبو عرب مع عمر ثم قال له عمر : سمعت أن هناك راقصة في الأماكن الليلية متخرجة من كلية الآداب .. فضحكا معاً

ثم أكمل عمر : إن لم يستجيبوا لندائك ويعملوا بنصيحتك ستجد أن علوم الدين منحصرة بالذين درسوه فقط والبقية غير معنيين بالدين كله ...

ثم اعتذر عمر عن مرافقته إلى البيت لشغل يخصّه وتابع أبو عرب سيره باتجاه منزله.

....

في وسط الشارع وهو عند الإسفلت هجمت عليه سيارة مسرعة لم يمهله سائقها ليقطع الطريق بل زاد في سرعته ليصدمه فهرب منها وتنحى جانباً فنظر إلى السائق وكان يغطّي وجهه. ثم أشار بيده مهدداً ،

مشى قليلاً وأحسَّ أنها محاولة دهس مقصودة ... لقتله؟

مَن هذا؟ ولماذا؟ .. ليس له أعداء ، أو ربما .. ربما متوهّماً؟ يريد دهس غيره أحد ما يشبهه ! ذكر : لاحول ولا قوّة إلّا بالله.

أسرع الخطا نحو المنزل.

....

دخل وقلبه يخفق وكانت أعصابه مضطربة والدم يغلي في عروقه ، إنها أوّل مرّة في حياته يتعرّض لحادثة كهذه.

نظر من النافذة هل من أحد يراقبه؟ اعتقد أنّه ليس المقصود لأنه لم يظلم أحد ولم يتعدّ على أحد.

توكّل على الله وبدّل ملابسه ، واستعدّ للنوم وشرد ذهنه قبل أن يغفو بالكلام

الذي قيل في القاعة وقال متسائلا : أيّ دولة من الدول العربيـة الإسـلامية سـتنفّذ ماقلته؟

هذا الأمر بحاجة لجهود كبيـرة وللتعـاون مـع الـوزارات أولاً ثـم مـع الـدول بعضها بعضاً ثانياً.

قيل هذا الكلام كثيراً ولم يستجد شيء حتّى الآن .. ردّد أذكار المساء ودعـا الله قليلاً ثم نام.

- صحا على أصوات الحارة وضجيج الدرّاجات الناريّة ، فبدّل ملابسه ووقف عند الباب ، تساءل أيّ المهام أولاً ..

اختار أن يذهب إلى متعهّد البناء ليتحدث معه إنه «محمد حامد» ومكتبه بجانب المقهى القديم.

حسناً سأشرب القهوة وأذهب لمكتبه - هكذا خاطب نفسه - ..

مشى بهدوء وإذ بياسين ابن عمه يناديه «يا ابن العم»

رحّب به : أهلاً بياسين كيف حالك يا ابن العم؟

أجاب : الحمد لله ، إلى أين أنت ذاهب؟ رد : إلى مكتب متعهد البنـاء أخبـروني أنه رجل محترم وسأتفاوض معه بخصوص المحضر .

فأراد استفزازه : متى ستخرج هذه العائلة النصرانية من البيت ليتم هدمه؟

رد بهدوء : إن وجود هذه العائلة لا يضرنا بشيء وعندما نتّفق مع المتعهد حتماً سيخلون البيت وأنا سأخلي البيت أيضاً وستقام العمارة إن شاء الله.

ثم أحب أن أسألك هل .. هل تعلـم أن اسـمك مـن حـرفين؟ «هنـا اسـتخدم حنكته»

أجاب : كيف؟ أنا .. أعرف أن اسمي له معنى محبّب وجميل في الدين.

أكمل : على حدّ علمي أن اسمك خاطب به الله سيدنا محمد ﷺ

استفسر : أفهمني .. فأجابه : الياء أداة نداء والسين هوحرف س يعني نفر من الناس أي شخص من الأشخاص.

يصبح عندنا ياس يعني ياسين وندرك أن المقصود بالنداء النبي محمد عندما نكمل الآية «ياسين والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين» وبما أن الذي نزل القرآن عليه هو النبي محمد إذاً محمد هو المخاطب يعني ياسين هو الخطاب الذي أشار إليه الله للنبي محمد ﷺ والله أعلم إنها إحدى التفسيرات.

فما كان رد ياسين إلا وأضاف : ألم أقل لك إنه محبّب في الدين يعني اسمي مبارك. رد له مجاملاً : نعم

فعاد وكرر موضوع عبدالله وسأل : كم هي قيمة النبي عيسى عند الله؟

أجاب : إن الله يحب نبيه عيسى بن مريم وحفظه منذ الولادة وأنزل عليه الإنجيل ليبلّغ تعاليمه لقومه وشاءت قدرة الله أن يرفعه إليه لينزله في آخر الزمان ..

النصارى أنفسهم مختلفون فيما بينهم حول مصير عيسى عليه السلام وهذه العائلة من الذين يؤمنون بأن الله رفع عيسى إليه ونجّاه من كيد بني إسرائيل ونحن نؤمن بأن الله سينزل عيسى في آخر الزمان ليقتل الأعور الدجال ويحطّم الصلبان وسيحكم بالعدل والمساواة لمدة أربعين سنة ...

سأله ياسين : حدثني بما وصف الله سبحانه النصارى في القرآن الكريم.

فرح أبو عرب بسؤال ياسين وأردف قائلاً : يقول الله تعالى في سورة آل عمران:

﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)﴾.

اعترف له : أول مرّة أسمع هذا الكلام ، التفت إليه وبتّه : أرأيت كم أنت مقصّر لأنك لم تقرأ القرآن يا ابن عمّي.

نحن نأخذ من القرآن مايناسب شهوتنا ونترك ما يتناقض مع رغباتنا

هنا غيّر ياسين مجرى الحديث فقال : هل سمعت بزواج عمّك أبي محمود؟ قال : نعم تزوّج الرابعة

وعذره أنه يطبّق شرع الله . أحلّ الله ذلك. ثم أتم:

ماذا عن أولاده المرميين في الشوارع وعن مستقبل الجيل القادم ، ماذا عن المخدرات والجرائم والسجون؟ مَن المسبب؟ فلم يرد ...

وصلا إلى مكتب محمد حامد أخبر ياسين : هذا مكتب المتعهّد أتدخل معي؟

أجاب : لا ، أنا لا أعرف التحدّث والتفاوض. ادخل أنت .. السلام عليكم وتابع سيره كالهارب ودون أيّ كلمة.

....

دخل إلى المكتب وسلّم على المهندس محمد حامد ، وطلب منه أن يشرح له تصوّره لشكل العمارة وتوزيع الشقق ، وأهم الشروط بين الطرفين ، والوقت المستغرق للإنتهاء من البناء وغير ذلك ..

فأخذ يشرح له وبدا أنه جاد والعمل معه مريح فاقتنع به.

في هذه الأثناء اتصلت به سالي سمع صوت سالي : ساعدني يـا أخـي عبـدالله في خطر .. رد : إن شاء الله خير ، سأكون عندكم فوراً.

خطا نحو الباب خطوات سريعة وهو يتحدّث مع محمد حامد : جهّـز العقـود واستعد للتنفيذ ، سأراك فيما بعد إن شاء الله.

....

أوقف سيارة أجرة وانطلق مسرعاً ، وهو قابع عـلى مقعـده بـدأ يتخيّـل عبـدالله ووجه أصفر اللون وسعاله الذي لا يتوقّف وأخذ يشعر بالحرقة كلّما سمع صوت سعاله يتردد في ذهنه ، ويزداد ألمـاً في صـدره كلمـا تـذكّر صـوت شـهيق عبـدالله المتهدّج المليء بالبلغم الصادر عن الإلتهابات.

تخيّل حيرة سالي وهي تضرب يداً بيد مـرّة وتلطـم مـرّة أخـرى ومـريم تبكـي خائفة..

وصل إلى المنزل ونزل وطلب من السائق الإنتظار قليلاً

وجد باب منزل عبدالله مفتوحاً وقد جهّزت سالي كيس فيه بعض الملابس ..

عبدالله يسير نحوه ببطء ومريم تساعده . أسـرع وقـال : هلـمّ بسـرعة السـيارة جاهزة.

....

وصلوا إلى المشفى ...

دخلوا قسم الإسعاف الأولي فحضر الطبيب المسؤول وتمّ إسعافه وسـاعده في إيقافِ هذه الأزمة وهدأ عبدالله في سريره وجلست سالي عـلى الكرسـي ومـريم في حضنها.

أخبر أبو الطيّب سالي أنه خارج وسيعود بعد قليل إن شاء الله

....

وخرج نحو البقالية واشترى بعض الأطعمة الخفيفة والشراب البارد ثم عاد إلى المشفى.

....

قدمها لسالي فقالت بحياء : أنت دائماً صاحب واجب ولا تنسى شيء ونحن عاجزون عن شكرك .

رد : لا يا سالي لاتقولي هذا الكلام نحن أخوة ، جميعنا معرّض لهذه الحوادث وللآلام والأمراض ويجب أن نساعد بعضنا البعض.

الآن سأتركك ترتاحين بجانب زوجك ولو حدث أي طارئ اتصلي بي فوراً.

قالت : حسناً .. وخرج مسلّماً.

....

في الطريق خطر في باله أن يجمع أعمامه وأولادهم لوضع النقاط على الحروف بخصوص العمارة وحتى يحصل على موافقتهم على اسم المتعهّد القادم.

توّجه إلى حارة عمّه أبو محمود في عشّه الزوجي الجديد ربما أتمّ شهر عسله وربما لا وسيبدأ بالبحث عمّن تسلب عيناه وتدهش مقلته مرّة ثانية.

....

وصل إلى بيته وسأله عن الموعد الذي يرغبه فاتفقا أن يكون غداً

ثم ذهب إلى منزل عمه أبو ياسين وأبلغه بالأمر وتكفّل هو بإبلاغ عمّه أبو هاني.

بعدها توجه إلى منزله .. وقبل أن يدخل تأمّل دار عبدالله ، لقد نشرت سالي الغسيل على الحبل. قميص وبنطال عبدالله ، كنزة سالي وبكلة شعرها.

دعا الله أن يشفي عبدالله ويعيده إلى بيته سليماً معافى : اللهم لا إله إلّا أنت سبحانك احفظ سالي المؤمنة بك والمحبّة لأنبيائك.

اللهم احفظ مريم بنت عبدالله وأنبتها نباتاً حسناً كما حفظت مريم بنت عمران وأنبتها نباتاً حسناً .. ثم دخل بيته.

....

نسى أنه جائع ولم يفطر بعد ... ما هذه الحياة! ... وهل يُنسى الجوع ؟ قال في خلده : إلى متى سأبقى وحيداً ؟

حمل جوّاله وطلب رقم عمر .. أخبره :

احضر طعاماً وتعال لعندي ..

أنا جائع وموجود بالبيت . مازحه عمر ساخراً : يا مسكين كم أن حياتك صعبة؟

أجابه : ماذا أفعل ؟! لاتزيد من همومي تعال ولا تنسى العصير .. أيّ عصير؟

قفل الخط حتى لا يسمع تعليقاته .

حضر عمر بعد ربع ساعة حاملاً كيساً فيه الطعام وكيساً فيه زجاجة عصير .

سخروا من بعضهم ثم تناولا الطعام والشراب وحمدا الله

قال عمر : اسمع يا أبا عرب أعتقد أنك طلبتني ليس من أجل الطعام وإنما من أجل موضوع أهم ماهو؟ قل ...

رد : أحسنت يا عمر مازلت ذكي بما يكفي كما عهدتك ، سأجتمع غداً مع أعمامي لأضعهم بآخر مستجدات البناء والعمارة وأعلمهم بأن المتعهد القادم هو محمد حامد أجاب : جيّد .

أتم : يجب قطع الطرق على كل من يقول إني أتصرف بمفردي ..

أضاف : تصرفك صحيح وعليك أخذ قلّة عقلهم بعين الإعتبار .. أنت لاتتحدث مع مثقفين تناقشهم ويناقشونك ، أنت تجتمع مع أناس يحدثونك من مبدأ تجاري يعني مكاسب ...

فقر وطمع وقدرة على سلب الحقوق .. آسف لهذا القول لكنها الحقيقة وأنت الوحيد المختلف عنهم ، لذلك مطلوب منك الكثير من الحداقة والكثير من الحرص والثعلبة حتى تنجو من كثرة مطالبهم وكثرة أسئلتهم.

....

في اليوم الثاني وهو يصلّي في المسجد القريب من منزل عمه أبي محمود قرأ الإمام هذه الآيات من سورة آل عمران ..

﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ ﴾.

في هذه اللحظات تذّكر عبدالله فدعا له بالشفاء والعافية ... أتم الصلاة وتوجه إلى منزل عمه أبومحمود .

وصل إلى الدار بعد أن أنهى حساباته .. شعر بأن العائلة كلها موجودة .

إن كمية الأحذية الموجودة عند باب الصالة تشير بأن أصحابها أكثر من عشرين

نفراً.

وإن رائحة التبغ الصادرة من الباب والنافذة تساوي كمية التبغ الصادرة من باب مقهى مغلق في فصل الشتاء.

لا بد أنهم بانتظاره على أحرّ من الجمر..

توقف ونظر من شق الباب كالطفل الصغير إنهم أعمامه وأغلب أولادهم وبعض نسائهم «يا للغرابة» وبعض الصغار وظن أن أحدهم أحضر محامياً معه أيضاً كلهم يريدون محاورته ومناقشته.

....

دخل متوتراً وبدأ بالتحية الحارّة كما نصحه صديقه عمر ..

السلام عليكم يا أهلي ويا أبناء عشيرتي وخلّاني ..

ردّوا بأساليب مختلفة : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته.

أغلبهم ذو وجه جامد عابس فقط ينتظرون منه الخطوة الثانية ..

أضاف : حضرت لأجتمع مع أعمامي أحبابي الكرام ، ناداه عمه أبو محمود : تعال يا أبا عرب تعال إلى هنا ، اجلس بجانبي . رد : كما تريد ياعمي كما تشاء.

علّق محمود حانقاً وقال : اسمع يا أبا عرب نحن وكّلناك لأن تكون محاور المتعهّد والمسؤول حتى تسليم الشقق إن لم تُنصف سنوكّل غيرك.

ما وجد من حيلة لصدّ هذا التهجّم عليه إلا أن التفت إلى ابن عمه ياسين وقال له : ها سمعت ؟

فما كان من ياسين إلا وردّ عليه : لست أنت الذي يقرر عزل أو توكيل أبو عرب

أضاف محمود : أنا من الورثة يحق لي ما يحق لك

تدخّل عمه أبو ياسين : انتهينا هدوء لو سمحتم .. فعمّ الصمت أرجاء المكان.

ثم أكمل : أولوية الحديث للكبار فقط ولا يحق للصغار المناقشة في هذا الموضوع.

تدخّل هاني غاضباً : عندما يحضر المتعهّد لإنشاء العمارة ، يهدم بيتك وبيت عبدالله ثم تبدأ عملية الحفر والتأسيس.

استعان أبو عرب بالخبث لثانية واحدة فقط وقال لعمّه أبو ياسين : أهو من الكبار؟

فما كان منه إلا وانتفض وقال : الصغير لا يجعل نفسه فهيماً ..

فردّ هاني ممتعظاً : أنا لست فهيماً ؟؟ إذاً من هو الفهيم ابنك ياسين؟ ردّ ياسين: لا أعجبك؟! تدخّل محمود : هو لم يخطأ ، قال الحق.

إعتدل أبو محمود في جلسته : اصمتوا ، الكل يسكت .. أريد الصمت من الجميع

سكت الجميع ثم أضاف : تحدث يا أستاذ .. قال : من الضروري أن نتفق الآن على توزيع الشقق فيما بيننا حتى نتمكّن من كتابة العقد مع المتعهد.

تدخّل هاني : المفروض أن لنا ستون بالمئة من الشقق ..

اشترط محمود : نحن لنا أربع شقق واحدة منهم مطلّة على الشارع العريض

شرح ياسين : الشقق السفلية لنا لأن أمي مريضة و لاتستطيع الصعود والنزول

أكد هاني : الشقة العلّوية الأخيرة لي أنا أحب الأماكن المرتفعة.

أردف شقيق محمود : أنا لي شقة في الطابق الأول سأحوّلها لعيادة في المستقبل

ثم وقف عمه أبو ياسين غاضباً وقال : إذا كان الصغار يتحدثون فالكبار يجب أن يخرجوا من هذا الحوار.

شاركه أبو هاني : إنها قلّة أدب.

أكمل أبو محمود : تجاوزتم كل الإعتبارات وأنتم من سيهدم الـ....

وازداد الخلاف ووقف الذي وقف وتهجّم من تهجّم ، وجد نفسه مرمياً جانباً لم يسمعه أحد ولم يعبّره أحد حتى ...

فانسحب أبو عرب وخرج ، عندما وصل إلى الباب الخارجي تنهّد الصعداء.

....

قفل عائداً إلى منزله وفي طريقه اشترى أطعمة خفيفة من الدكان وتابع السير نحو المنزل.

- قبل أن يدخل إلى البيت لمح رجلاً يداري وجهه عنه ، ثم نظر إليه بخلسة وحتى يتمكّن من معرفة ماذا يريد أو ينوي فعله عليه الدخول إلى المنزل ومراقبته من الداخل.

....

دخل وكأنه لم يرَ شيئاً ، حاول إستعادة صورة الرجل الذي كان يقود السيارة وتذكّر ملامح وجهه ، إن كتفيه ورقبته مشابهة لهذا الرجل حتى وإن لفّ وجهه كان يتلفت حوله.

اعتقد أنه يريد سرقة منزل عبدالله

ماذا يفعل؟ .. حمل الجوّال وفكّر بالاتصال بالمسؤول في قسم الشرطة فهو على معرفة به ، تريّث وقال : يجب علي التأكّد مما سيفعله ذاك الرجل أولاً ومعرفة مَـن هو؟

توقف الرجل عند منزل عبدالله ورمى الملابس المعلقة وترك ورقة عند الباب

ثم تقدم نحو باب منزل أبو عرب ووضع ورقة وغادر مسرعاً ....

بعدما تأكّد منه أنه ابتعد خرج مسرعاً حاملاً عصا بيده فلربما هاجمه من الخلف لقتله.

حمل الورقة وأعاد الملابس بشكل عشوائي لمكانها وكان خائفاً جـداً ثـم أخـذ الورقة المرميّة عند باب منزل عبدالله وعاد قابضاً على العصا بشـدّة لإطـلاق النـار فقد شعر أنها بمثابة رشاش .. – هكذا تصوّر – .

....

دخل إلى البيت وأسرع إلى النافذة ليتأكد من أنه لن يعود مرّة أخرى

فتح الورقة ..

«الأستاذ أبو عرب يجـب أن أعتـرف لـك بـأن عبـدالله هـو الـذي دفعنـي لأن أدهسك لكن ضميري منعني من تكرار هذه المحاولة إنه عدوّك الخفي إبدأ به قبل أن يبدأ بك».

ثم فتح ورقة عبدالله مندهشاً .يقول فيها: «عبـدالله. إن أبـا عـرب هـذا يخطـط لطردك من المنزل وليخطف ابنتك وتهريبها إلى خارج البلاد ، هذا كـلام صـدق ، إنه عدوّك السرّي بعد ذلك لن ينفع الندم».

تنفّس أبا عرب الصعداء وتمتم حسبي الله ونعم الوكيل لاحول ولاقوّة إلا بالله

هذا وغد إنه العدوّ الذي نسمع عنه إنه عدو منّا ذاك الذي يطعن في الظهر

إن البطل الشجاع يستطيع أن يقاتل ساعات ويقتل الأعداء الذين أمامه ولكنه وخلال ثانية يصاب في الظهر لأنها طعنة غدر من ابن البلد ... مَن هو؟؟؟

ظن بأحدهم ولكن لا .. إن بعض الظن إثم.

وماذا أفعل الآن؟؟ أأتصل بعمر؟ (هكذا حدّث نفسه)

ربما سأزعجه وسيغضب مني عليّ التريّث والحذر .. وفي الصباح سأرى ما سأفعله

نظر إلى الطعام الذي اشتراه نظرة مَن عافت نفسه الطعام فقد شعر بالسوء (حدّث نفسه) ما الدافع لأن يفعل هذا الرجل ما يفعله !

ماذا يريد؟ إن عقلي أضعف من أن يدرك.

شرد قليلاً وسرح بخياله ولكن غيّر رأيه .. سأشرب كوباً من الشاي ، أي شيء لمعدة فارغة مظلومة.

تأكد من أن الباب مقفل جيداً . دعا ربّه وناجاه ... وغفا.

....

وفي الصباح أيقظته عصافير الحي بفرحها وهي تضرب أجنحتها على زجاج النافذة إن عدوّها ليس خائناً ، إن كان صقراً أو باشقاً.هي لا تدهس بعضها لا بالسيارات ولاغيرها ، حياتها بسيطة وساذجة .

عليه الذهاب إلى المقهى وهناك سيقرر .. أيخبر عمراً أم لا؟

....

خرج متلفتاً حوله يدقق لأي حركة ومسامع أذنيه مستنّفرة يحاول تحليل أي صوت يسمعه.

وصل إلى المقهى باكراً .. استغرب النادل جلوسه والكراسي كلها فارغة ، رحّب به وسأله عن طلبه فطلب فنجاناً من القهوة .. وذكر في نفسه : ياليتني أجلّت القهوة حتى يأتي عمر .. فابتسم من هذا الخاطر وقال : سأشرب مرّة ثانية ...

أخرج الأوراق من بنطاله ثم أعادها .. وبعد خمس دقائق تقريباً حضر فنجان القهوة على الطاولة ، رشف منها بضع رشفات متتالية ، كاد أن يحترق لسانه .. فهدّأ من روعته قليلاً وانتظر سارحاً.

حمل هاتفه النقال وطلب رقم عمر وقال في نفسه : سيسامحني

رحّب عمر به : صباح الخير لماذا صحوت مبكراً؟

فدعاه لشرب فنجان من القهوة في المقهى وقد أحسّ بغضبه فقفل الخط ، عرف أنه غضب منه لكنه سيأتي بعد عشر دقائق.

لقد عرف ماذا يفعل الآن.

إنه سيدخل الحمام .. بعد الحمّام سيغسل شعره .. والآن يبدّل ملابسه وسيسرّح شعره بعد ذلك .. الآن يتأمل ملابسه في المرآة .. ثم يرتب سريره ويمسح حذائه.. الآن يخرج من منزله .. سيقطع المسافة بأربع دقائق .. سيكون هنا بعد قليل.

رشف قهوته كلها .

بعد دقائق معدودة وصل عمر لاهثاً . قال : السلام عليكم ..قل بسرعة ما المهم الذي عندك ؟ أجاب : اجلس وارتاح أولاً .

جلس وأضاف : أنا أعرفك صحوت باكراً لحصول شيء مزعج قبل النوم .. واستخدمت جوالك لأهمية ما حصل. صح ؟

هزّ برأسه وقال : أنا شربت القهوة . أتشرب الشاي؟

هزّ برأسه ثانية فأشار للنادل : اثنين شاي .

أعطاه الأوراق وحكى له القصة .

قرأ وابتسم وعلّق : هذا تافه يريد بهذا الشيء الفتنة. لكنه جديد في هذه المهنة أو المهمّة .. أسلوب بدائي ضعيف.

بمن تشك ؟. أجابه : هذا السؤال الصعب. أردف : لا بد أنك تشك بأحد

أجاب: نعم . سأل : بمن ؟.

أجابه : أخاف أن أظلم أحد. قال : لا تذكر الاسم

أجاب : ولكن أظنه أحد أبناء عمومي

رد : تفكير منطقي .. على كلٍ هو سيوقع نفسه بنفسه.

الأيام القادمة ستوقعه طالما هو جديد في هذه المهمة ..

لم أخبرك أنه هاجمني بالسيارة وأراد دهسي .. سأل متى؟ أجاب : قبل ثلاثة أيام عندما خرجنا أنا وأنت من المدرسة وتفرقنا لو تذكر

هاجمني بالسيارة وأنقذني الله سبحانه وتعالى وأشار لي بأنه سيكرر المحاولة يتحداني ويتوعّد لي.

أجابه : الأمر خطير .. عليك إعلام الأمن. فهم يراقبون تحركاتك ويستطيعون إلقاء القبض عليه بسهولة .. قال : عندها أخشى أن تصيب شكوكي ويكون أحد

أبناء أعمامي. لن يصدقني أحد وأقع بمشكلة أكبر.

سأل : وماذا لو كانوا عصابة وليس شخصاً واحداً؟

رد : عندها المصيبة أكبر. اسمعني ياعمر.. إنهم يَنوون الشر ليس لي وحدي بل لعبد الله وعائلته أيضاً .

كنت أشعر ببعض الحركات تحدث في الليل . أنظر من النافذة أرى خيالاً يبتعد..

في اليوم التالي أنظر من زاوية النافذة فأرى عبدالله شعر بهذه الحركات وخرج ليرى. بعد أسبوع يطرق أحدهم باب الصالة وريثما أصحو وأقوم وأفتح يكون قد اختفى .

في ليلة أخرى أسمع طرقاً على باب منزل عبدالله أراقب من النافذة أرى خيالاً يبتعد .. يفتح عبدالله الباب فلا يرى أحداً.

قبل عشرة أيام خرجت من منزلي فرأيت ملابس سالي مرميّة على الأرض

ازدادت هذه الأحداث تدريجياً حتى وصلت إلى محاولة لقتلي ومن ثم هذه الأوراق.

قال عمر : أعود وأقول لك إنّ الحل الوحيد هو الإمساك به وهو ضعيف أنت لوحدك تستطيع الإمساك به. لسبب وحيد وهو أنه بدائي وبسيط .. لا تقلق.

حضر النادل وقدّم لهما الشاي .

أخبر عمر : سأذهب إلى المشفى إن رأيت أن عبدالله تعافى سآتي به إلى البيت

سأله عمر : لماذا لم تقل لي أنه في المشفى؟ أجاب : نسيت . أضاف عمر: هل

انتبهت أنت إلى أن هذا الرجل لا يعلم أن عبدالله في المشفى ووضع له الورقة عند الباب .

....

بعد ساعة وصل إلى غرفة عبدالله في المشفى

طرق الباب فسمع صوت سالي تقول: ادخل يا أبا الطيب

دخل وسلّم فرأى عبدالله نائماً وكذلك مريم بجانبه. همس صباح الخير سالي .

فردت بنفس الصوت: صباح الخير .. آسف حضرت فقط لأطمئن عليكم ..

أجابت : أصبح عبدالله الآن في أحسن حال وأنا ومريم بخير الحمدلله

أضاف : سأذهب إلى الطبيب المشرف وإن كان وضع عبدالله استقر سأخرجكم.

ردت : شكراً .. مشى قليلاً ثم استدار ووجّه خطابه لسالي مستفسراً أنت قلتي تفضل يا أبا الطيب . كيف عرفت أنني أبو الطيب ؟

ابتسمت وأجابت : إنّ طريقة طرق الباب هي ذاتها التي تطرق بها باب بيتنا هذا أولاً.. ثانياً البارحة لم تأتِ في المساء وحضرت اليوم باكراً . لهذا عرفت أنك أبا الطيب.

صمت ثم خرج .. سأل عن الطبيب المشرف وفهم أنه لا مانع من تخريج عبدالله ..

- عاد إلى الغرفة فوجد عبدالله قد استيقظ وكذلك مريم

ركضت مريم إليه ونادت : عمو الطيب فهمس لها: لم أحمل لك شيئ لأني

سأخرجكم من هنا وهناك لن أنساكِ..

كيف حالك يا عبدالله ؟ رد : الحمدلله أحسن .. أنت دائماً تتعب معنا

أكمل : لا بل هذا واجب .. هل أموركم جاهزة؟ ردت سالي : نعم

أمرهم بالاستعداد ريثما يأتي بالوصفة الطبية الجديدة من الطبيب . ثم خرج وأحضرها .. وتمت إجراءات التخرج.

وصلت سيارة الأجرة إلى المنزل

دخل عبدالله وجلس على حافة السرير وأعادت سالي الحاجات التي معها إلى أماكنها

طلب منهم الراحة وأخبرهم أنه سيعود بعد قليل بعد شراء الوصفة ..

قال عبدالله : لحظة ... فهم أنه سيعطيه النقود فخرج ولم يلتفت إليه

قال في نفسه : سأشرح لعبدالله الذي جرى البارحة لكن بعد شفائه

وصل إلى الصيدلية وسأل عن الدواء المكتوب في الوصفة فاعتذر الصيدلاني لأن هناك صنف غير موجود عنده ودلّه على صيدلية بعيدة يجده فيها .

وصل إلى موقف السيارات التي تنطلق إلى المنطقة التي بها الصيدلية

سمع السائق ينادي ... راكبين وننطلق .... راكبين ... راكبين فقط.

ركب وجلس فنادى السائق: راكب واحد .. واحد فقط .. واحد فقط

مضى وقت ولم يأتِ أحد . صاح شاب من خلفه: انطلق أيها السائق تأخّرت على عملي .. قال السائق : انتظر راكب واحد وأنطلق .

أضاف الشاب : ركب في العربة التي خلفك سبعة وأنت تنادي راكب واحد .

أجاب السائق : إنهم عائلة واحدة .. ينقصني واحد فقط .

جمع أحدهم الأجرة وأوصلوها له . مضى وقت ولم يحضر الراكب فاجتاح الغضب عقل الشاب وصاح : إلى متى ستبقى واقفاً ؟

ستنطلق السيارة الثانية قبلك. رد السائق : انزل واركب فيها .

فما كان من الشاب إلا ونزل وصعد في السيارة الثانية ونسي أنه دفع الأجرة.

قال له : خذ .. لم يسمعه . نادى بأعلى صوته : تعال وخذ نقودك. لكنه كان منفعلاً وأسرع وركب وانطلقت العربة قبل عربته.

حضر راكب وانطلقت العربة . لكن الشيء الأهم الذي حصل أن الراكب الذي خلفه إقترب من رأس، أبو عرب همس :

أنت ياعم . رد : نعم .. أضاف : معك أجرة الرجل الذي نزل زائدة صح؟

أجاب: أجل . أضاف : هي ليست للسائق لأن أجرة المقعد الأخير سيدفعها الذي ركب مكانه. رد : وماذا بعد؟ أضاف : أعطني إياها

سأل : لماذا؟ أجاب : أنا أحق .. سأل : أحق ممن؟ أجاب : أحق منك

سأله : لماذا أحق مني وما دخلي أنا؟ رد : إذا فكّرت بابتلاعها فأنا أحق منك

« اعتقد أنه سيسرقها » هنا شعر أبو عرب بالبرود في جلده . قال في خلده :

« عليّ التحدث أكثر لأعرف أيّ نوع من الرجال هذا »

فسأله : لماذا أنت أحق مني؟ أجاب : لأنني أنا الذي ناولتك النقود من يدي ليدك عليك إعادتها من يدك ليدي. قال : لا لن أوافق.

اقترح : إذاً خذ أنت ربع الأجرة وأعطني الثلاث أرباع. أجاب : لا لا لن

أوافق

فقال غاضباً : إذاً ماذا تريد!

أتعطيني الربع وتأخذ أنت الثلاث أرباع ؟ أجاب : لا ليس كذلك

صاح به : حيّرتني أتريدها كلها لك . تريد بلعها ؟ رد : لا .. فسأله : وإذاً؟

أجاب : إنها حرام عليّ .

في هذه الأثناء بعث الراكب الجديد أجرة كرسيّه وأرسلها للسائق ونوى أبو عرب في قلبه وذهنه أن يتبرّع بالأجرة التي معه لصندوق أقرب مسجد وتمنّى على الله أن يكون فعله هذا صحيحاً .

وصل إلى المكان المراد وطلب من السائق أن يتوقف .

نزل وعند وصوله إلى الباب أسمعه الرجل الذي حاوره اسم شتيمة ليفرّغ غضبه وترتاح أعصابه قال : حرامي .. لكنه لم ينزعج بل ابتسم ثم ضحك بصوت عال.

إن الذي جرى جعله آسفاً على الحالة الأخلاقية المزرية التي وصل إليها هذا الرجل وبما أن شر البلية ما يضحك فهذا الذي جعله يضحك ؟!

وصل إلى أول مسجد صادفه ووضع النقود فيه وخرج ودعا الله أن يكون فعله هذا سليماً ..

اشترى الدواء وعاد إلى منزل عبدالله.

....

عند وصوله إلى الباب همّ بطرق الباب فاجأته مريم بفتح الباب وقالت : عمو

الطيب وقفزت إليه فحملها .

فسألها مداعبًا : أتقفين عند الباب؟ أخبرته : أبي بانتظارك تفضل .. لم يدخل سألت : لماذا لم تدخل؟ ادخل أبي ينتظرك.

وأضاف لها : اسمعي يا مريم قبل أن ندخل أيّ بيت يجب علينا أن نطرق الباب أو الجرس ونُعرّف عن أنفسنا وإذا أذنوا لنا فسندخل وإلا فلا.

فاستفسرت : وإذا طرقنا الباب ولم يجب أحد من الداخل ماذا نقول لهم؟ أجاب : لانقول شيء .. سألت : لماذا؟ أكمل : لأنه لايوجد أحد في الداخل وضحكا معاً.سمع صوت سالي من الداخل تقول : تفضل أبا الطيب نحن هنا ..

دخل فوجد عبدالله مستلقياً في سريره وسالي تجلس بجانبه حزينة سلّم وجلس قال : عليك أولاً أن تتناول هذا الدواء تفضل.

قال عبدالله : جزاك الله كل خير وبارك فيك. أتم : التعليمات مسجلة على الغلاف

سألت سالي : أتشرب الشاي أم القهوة؟ أجاب بأنه لا يريد شيء. يريد أن يدخل إلى منزله فقط فهو يشعر بالتعب والنعاس وعندما يصحو سيذهب إلى المتعهّد محمد حامد لينهي النقاش حول المحضر.

بثّه عبدالله : اذهب إليه واتفق معه أنت وأعمامك أما نحن فلا تهتم بنا الله يتولى عباده فهو لا ينسى أحداً من خلقه ثم بدأ بالسعال مجدداً.

همس له : بعد قليل سيأخذ الدواء مفعوله ولابد أن تهدأ إن شاء الله.

أثناء حديثه كانت سالي تبحث عن النقود فوجدتها وقدمتها له وقالت : تفضل ثمن الوصفة. فأخبرها أنه يوجد حساب بينه وبين عبدالله فلا داعي للقلق.

أشارت وقالت : اجلس وتناول شيء .. أجابها : صدقيني أنا متعب وعليّ إراحة جسدي سأعود إن شاء الله.

....

وهو في طريق عودته إلى بيته شاهد أبا رامز يسير بجانب البيت فناداه فلم يرد ، كرّر ولم يرد.

تخيّل أن يكون أحد ما يشبهه! .. سبحان الله يخلق من الشبه أربعين.

وضع المفتاح في القفل فسمع صوت زمور دراجة نارية تقترب منه إنه موظف المركز الثقافي .

توقف بجانبه فحياه فرد عليه ثم قال : حضرت إليك لأبلغك بأن المركز الثقافي سيعقد ندوة اجتماعية وسيحضرها مسؤولون من العاصمة فيرجو منك مدير المركز أن تحضر الندوة وتلقي كلمة فيها.

رد : شكراً لك وللأستاذ مدير المركز سأحضر إن شاء الله ولكن ليس من الضروري أن أخطب بهم وألقي الكلمة.

أجاب : من الضروري أن تلقي الكلمة يا أستاذ سمعت كلمتك في قاعة المدرسة ماشاء الله فأنت تختار العناوين المهمة وتلفت النظر إليها مازلت أذكر كلامك وكيف دعوتَ لأن تُدخل روح التشريع الإسلامي في كل مادّة وأعطيت أمثلة عن العلماء المسلمين وهم أصلاً من حفظة القرآن.

قاطعه متمنياً : يا ليتك مسؤول في وزارة التعليم وتتفاعل مع كلامي وتحقق أمنيتي. أجاب : لا .. يكفيني هذا المركز وهذه الدرّاجة وأنا مرتاح بذلك.

دعا الله له أن يزيده من علمه وماله ، ثم سأله : متى هذه الندوة؟ أجاب : بعد

ثلاثة أيام في قاعة الإجتماعات ... حيّاه ثم غادر.

....

دخل المنزل وتمتم في نفسه في المرّة الماضية لم أستطع التحضير للكلمة أمّا هذه المرّة فلا بدّ من التحضير الجيّد للكلمة. حمل قلمه وبحث عن ورقة وجلس وبدأ بالكتابة . بسم الله الرحمن الرحيم.... ثم نظر إلى الساعة فقام وتوضأ وصلى الظهر وبعد انتهاء الصلاة اتكأ على كرسي بجانبه وغفا قليلاً ..

بعد ساعتين شعر بألم في رقبته فصحا وأعاد وضوءه لصلاة العصر. بعد الصلاة خرج من المنزل.

....

-توجّه إلى المقهى وهو في الطريق حمل هاتفه النقال وطلب رقم عمر ليدعوه ليتناول معه الطعام فلقد دعاه عمر عدّة مرات.

ردّ عمر قائلاً : أهلاً يا حبيب القلب ، أجاب أبو عرب : السلام عليك ياغالي أين أنت؟

رد : عند والدتي قال له : أقرأها مني السلام .. أجابه : يصل إن شاء الله وهي تسلّم عليك أيضاً ..

أتم أبا عرب : أنا في المقهى وأنتظرك لنأكل سوّيًا. أجاب : سأصل بعد ربع ساعة بإذن الله.

جلس أمام الطاولة فاقترب منه النادل وسأله عن طلبه فطلب منه كمية من الشطائر وإبريقاً من الشاي.... بعد مدة من الوقت:

حضر عمر مبتسماً متسائلاً وقبل أن يصافحه سأله ما الذي يشغل بالك؟ قل..

أجاب : الكثير من القضايا ، اجلس. ربّت على كتفه وجلس.

أضـاف : أولاً جـاءتني دعـوة لنـدوة حواريـة في المركـز الثقـافي فـرّغ نفسـك لتحضرها رد : سأحاول ..

أكمل : ثانياً هل تذكر صديقنا القديم أبو رامز؟ قال : مَن أبو رامز؟

أوضح له : الذي يملك مزرعة في الحي الشرقي والذي كـان يسـافر إلى أوربـا بهدف التجارة وأحياناً أخرى بغـرض السـياحة و... فاسـتدرك قـائلاً : نعـم نعـم أذكره.

قال : رأيته بعد الظهر وناديته عدة مرات ولم يرد هـل أصـيب بالصـمم ! قـال : ربما أو ربما كان رجلاً يشبهه.

أكمل : ثالثاً وقع اختيار متعهد العمار على المهندس محمد حامد فهـو الطـرف المعتمد الآن ووصلنا إلى التنفيذ.

أنا وأعمامي لم ولن نتفق على توزيع الحصص أين سأذهب أنـا وعائلـة عبـدالله عندما تهدم البيوت؟ ثم ....

قاطعه قائلاً : اسمع .. الأمور كلها تحل خطوة خطوة حتى تريح نفسك اجعـل أعمامك يؤيدونك في خطواتك وهم يضمون صوتهم إلى صوتك عندما تضعهم في صورة الأحداث. وضّح لهم ..

بعد توقيع العقد يتم هدم المنزلين ويُحضر المتعهد آلاته وعماله ويـتم الحفـر والبناء ، الأمور سهلة وبسيطة.

وصل النادل حاملاً كميّة من الشطائر وإبريق من الشاي وكأسين ..

نظر عمر إلى الشطائر ثم إلى النادل ثم إلى الشطائر وسأل : ماهذا؟ أجابه: شطائر أضاف : أعلم شطائر مَن الذي سيأكل هذه الكمية؟ قال : أنا وأنت فأعطاه واحـدة

وقال له كل بسرعة وأخذ واحدة لنفسه وبدأ بأكلها وإذ بصاحبه ينفجر ضاحكاً.

....

مشى مع عمر باتجاه مكتب محمد حامد .. دخلا وجلسا وتبادلا الأحاديث ثم سأله هل العقد جاهز؟ أجاب محمد حامد : نعم هذا هو العقد وفيه كل الشروط والتفاصيل وبما أنك وكيل الطرف الأوّل وقّع هنا وأما أنا فسأوقع هنا .. تمام ..

هذه نسخة تبقى معك وهذه النسخة لي.

تفضل هذه نسخة من مخطط العمارة من الداخل والخارج. الأمر أصبح قيد التنفيذ ثم خرجا.

....

-خرج أبو عرب وصديقه عمر وكان سعيداً مرتاح البال لأنه فعل جُلَّ ما يستطيع لاختيار المتعهد الأفضل ويكسب أكبر قدر من الشروط.

سأله عمر : إلى أين سنذهب الآن؟ أجابه أبو عرب: عليّ إخبار أعمامي بالأمر اقترح عمر : أرى أن تعلم عمك أبي محمود بما أنه الكبير وتريه العقد. أخبره أبو عرب : المصيبة في البقية .

رد عمر : أترك الأمور تسير لوحدها أنت أعلم عمك أبو محمود وهو عليه مسؤولية إخبارهم أو يقول لك ما يجب فعله المهم بدأت بالخطوة الأولى ...

أتعلم يا صديقي أن موضوع العمارة وتوزيع الحقوق والخلافات نموذج عن البلاد العربية!

أجاب : هذا صحيح أضف إلى ذلك زرع الفتن والتحريض ضد بعضنا البعض وأيضاً موضوع من حاول قتلي ووضع أوراق عند باب منزل عبدالله ومنزلي .. يريد

أن نكون أعداء ونتحارب.

أضاف : أنا متفاءل بأن العمارة ستقام وسيتم توزيع الحصص وسيتم إلقاء القبض على من يقوم بهذه الحركات.

قال أبو عرب : سأعود إلى البيت وأنت؟ أجاب : سأعود إلى والدتي .. أوصتني بأن أشتري لها بعض الحاجات. أخبرني بالمستجدات ... السلام عليكم. وافترقا

....

قال أبو عرب في خلده : عليّ ثلاث مهمّات يجب القيام بها أولها صلاة المغرب وزيارة عبدالله وآخرها قراءة ما يمكن قراءته لتحضير كلمة من أجل الندوة.

مشى حتى وصل إلى المسجد الكبير وتذكر أنه مازال محافظاً على وضوءه فقرر الدخول إلى المسجد بما أن موعد الأذان قد حان.

دخل المسجد فوجد بالقرب من المكتبة طبق من التمر وزجاجة من العصير وعدّة كؤوس بلاستيكية .

في البداية تعجّب من وضع هذه الأطعمة هنا؟ ثم أدرك حقيقة الأمر .. وهو أن هناك عدد لابأس به من الناس من يواظب على الصوم يومي الإثنين والخميس وأن اليوم هو الخميس وسيكون الإفطار على هذه التمرات حسب السنة الشريفة والعصير بدل اللبن.

أحسّ كم هو مقصّر لعدم صومه كل اثنين وخميس فاستغفر ربه عدّة مرات ، كان وقبل عدّة شهور يواظب على النوافل للتقرّب من الله عزّ وجل. دعا الله سبحانه وتعالى أن يقوّي إيمانه ويهّديه إلى الصراط المستقيم .

قال له أحد الشبّان الواقفين بالقرب من الطاولة : تفضل يا أستاذ تقبّل الله

صيامك .

ضحك على نفسه وعاتبها صامتاً ثم التفت وردّ : جزاكم الله كل الخير وتابع دخوله وصلّى ...

توجّه إلى السوق اشترى بعضاً من الفاكهة والحلويات وتوجّه إلى منزل عبدالله.

....

وقف في الفسحة ونظر إلى البيت .. كرة مريم بالقرب من الباب ، ملابس عبدالله معلقة على حبال الغسيل.

يجب عليه الدخول قبل أن يتأخر الوقت أكثر.

طرق الباب فسمع صوت سالي تقول لمريم : افتحي الباب لعمّك أبو الطيّب. ضحك وقال في نفسه : طرقت الباب بإصبعي نفسها ..

فتحت مريم الباب وقالت : أهلاً عمّو الطيّب أسرعت وقفزت إلى صدره فقبّلها ثم أعطاها علبة الحلوى التي أحضرها أخذتها ودخلت.

ناداه عبدالله من الداخل : ادخل يا أبا الطيّب تفضّل. دخل فوجد سالي تخيط بعض الملابس وعبدالله مستلقياً على سريره. سلّم وقال : تفضلوا هذه بعض الفاكهة.

عاتبه عبدالله : لماذا تعذّب نفسك يا أبا الطيّب ألا يكفي أننا نشغلك دائماً معنا هذا كثير. اهتم بشؤونك ونحن ندبّر أمورنا بأنفسنا أنت تعلم محبتك في قلوبنا ، صدقني أننا نريدك أن ترتاح فقط.

أجاب : أنا لا أشعر بالراحة إلا عندما تكونون بخير وأموركم مستقرّة .

تدخّلت سالي : سأغسل التفاح ويجب أن تجلس معنا لا تجعل التعب

والنعاس حجّة للذهاب ..

فأجاب مبتسماً : حاضر يا سيدتي لن أقول أني على عجل سأبقى معكم بعض الوقت وإن كان لديّ مهمّة أخرى.

سأل عبدالله : مهمّة أخرى؟! ابتسم أبو الطيب وأجاب : إنني أتحدّث إلى نفسي..

اقتربت مريم منه فهمس لها : أعرف أنك تحبّين الحلوى ولكن ماذا تحبّين من الألعاب حتى أحضرها لك؟

أجابت : العروس الشقراء الجالسة على العربة والدب الذي يضرب على الطبل. رد مازحاً : حسناً ، غداً سيكون عندك الدب الذي يجلس على العربة والعروس التي تدقّ على الطبل.فقاطعته قائلةً : العروس هي التي ... ثم ضحك الجميع.

عادت سالي بعد قليل وهي تحمل طبق التفاح .

وبعد أن تناولوا بعضاً منه ودّعهم واستأذن في العودة إلى بيته.

....

في منزله أول عمل فعله هو صلاة العشاء ثم تحدّث إلى نفسه قائلاً : حان موعد التحضير للكلمة ..

أولاً عليّ تحديد العنوان .. عناوين كثيرة مهمّة تهمّ المواطن المسلم ، أو المسلم العربي أو العربي المسلم. لا .. العروبة أولاً وضمنها الديانة الإسلامية.. بعد نزول الرسالة الإسلامية أصبح الإسلام هو الحافظ للغة العربية.

إن النبي محمد ﷺ نصحنا بأن نحب العربية لثلاثة أسباب ، أولاً أنه عليه

الصلاة والسلام عربي ولأن لغة القرآن هي العربية ولأن لغة أهل الجنّة هي العربية. الدين الإسلامي هو المحيط والحامي للغة العربية .

هل أتحدث عن اللغة العربية؟ أم عن دخول الاتصالات لكل بيت أو لكل يد مسلم أو مسلمة وما يتعرّض له أبنائنا وبناتنا من تشويهات ومفاسد لها أوّل وليس لها آخر ؟

لا لا هذا الموضوع يتحدّثون عنه كثيراً ماذا أختار إذاً! ... أخذ يفكر بعمق..

بما أن أعداء الأمة الإسلامية يجدون ثغرات في علاقة المسلمين ببقية الديانات ويوقعون الفتن بين المؤيدون لهذا الدين أم لذاك الدين ، وبما أن الديانة النصرانية موجودة في أغلب الدول العربية فإنني سأختار عنوان علاقة الديانة الإسلامية ببقية الديانات لأن من يكره الإسلام والمسلمين يشوهون صورة المسلمين بغية تدمير هذا الدين.

حسم الأمر توكل على الله واعتمد هذا العنوان. ماهي إلّا ثلاث ثوانٍ إلّا وغفا في مكانه.

....

بقي في مكانه حتى أذان الفجر قام وصلّى على عجل قبل أن يبزغ الضوء. كان معتاداً على قراءة سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة وفي الأسبوع الذي لا يقرأ فيه سورة الكهف يشعر بعدم الراحة النفسية -سبحان الله- قرأها وقرأ سورة أخرى ولم ينسَ أذكار الصباح وعاد مجدداً إلى النوم ..

استيقظ مرتاحاً قال في نفسه : ماذا أكتب الآن؟ .. يجب أن تكون كلمتي مؤثرة .. استلَّ القلم وبحث عن الورقة وكان قد بدأ بـ : بسم الله الرحمن الرحيم ... أيّها

السادة.

إن الدين الإسلامي هو الرسالة السماوية المحمدية الخالدة .

إن الدين الإسلامي هو الدين الإلهي الحق ، والقرآن هو الكتاب المنزل من السماء داعياً إلى كل فضيلة وحق وعدالة وخير ومساواة وإخاء وحرّية

إنّ الإسلام هو الثورة على الشرك. نعم الثورة ضد الشرك بالله الواحد ، فعندما ساد الشرك بالله وكثرت الآلهة التي تُعبد جاء الإسلام ضد هذه العقيدة ليقول بصوت واضح جلي : لا إله إلا الله.

بينما كان يحضّر سمع صوت دراجة نارية تقترب من منزله فتوقف وتساءل مَن يكون؟ هل هو موظّف المركز الثقافي؟ ربما تأجّلت الندوة وجاء ليخبرني ... نهض ونظر من النافذة وإذ به عابر سبيل نفذ الوقود من دراجته ثم تابع سيراً ماسكاً الدراجة بيده.

قبل أن يعيد الستارة لمكانها لمح باب منزل عبدالله يُفتح حدّث نفسه قائلاً : من المؤّكد ستخرج مريم وفعلاً خرجت مريم حاملةً طبقاً ملفوفًا بورق وفي اليد الثانية خبزاً ..

تقدمت نحو باب منزله ثم طرقت الباب بقدمها .. فتح الباب قالت : صباح الخير عمو الطيب يقول البابا هذا فول وهذا البقدونس وزيت الزيتون والمخلل ثم استدارت وركضت دون أن تسمع ردّه ..

دخل وقال في نفسه : ماذا نفعل نأكل أم نكمل الكتابة؟

شمّر عن ذراعه وسمّى بالله وبدأ بالطعام.

أكل الطبق كله وبقي بعض الخبز ماذا يفعل الآن؟؟.. أخذ يفكر أيشرب

الشاي؟ هو معتاد على شرب الشاي بعد الطعام لكن الشاي بعد الفول يُذهب مادة الحديد. فحدّث نفسه : فالتذهب مادة الحديد نعوضها فيما بعد....

قام ووضع إبريق الشاي على الموقد همس مخاطباً نفسه : أتتحدث عن النظام والتنظيم يا أبا عرب ها أنت تعرف الخطأ وتسير عليه ..

وضع الورقة والقلم جانباً وقام وتوضأ استعداداً للذهاب إلى المسجد ثم خرج من المنزل.

....

عند باب المنزل طوى أكمام العباءة البيضاء وعدّل قبتها وحدث نفسه : الشيوخ يرتدون هذا الثوب الأبيض الطويل تيمُّناً بما كان النبي محمداً ﷺ يرتديه. لكن مَن مِن الأشخاص أو المجموعات يستطيع أن يلغي لقب شيخ عن الأغنياء أو الزعماء؟

كثيراً ما يقال في البلاد العربية عن الغني وصاحب النفوذ الشيخ الفلاني مع أنه لا يفقه من الدين إلا كما يفقه طالب المرحلة الإبتدائية. أرجو من الله الهداية والمغفرة لجميع خلقه.

....

اقترب من المسجد مع صوت القارئ يملأ أرجاء المكان من آيات الله إن يوم الجمعة يثلج الصدر ويريح النفس .. دخل وصلّى السنّة ثم جلس يستمع إلى الخطبة

إنها خطبة شاملة رائعة لقد أقنع الخطيب الجالسين بكل ما قال وبكل ما نصح .. كان عنوان الخطبة الأفكار الهدامة المنتشرة هذه الشهور بين أبناء هذا الدين.

حيث ظهرت منظمات إسلامية تضم أفراداً من دول الغرب والشرق. يسعون

لشراء أسلحة صاروخية ومدافع وغيرها ويحتلّون المدن ويفرضون قوانين وتشريعات بالقوة القهرية القسرية .

فهاهم يجلدون كل من لا يطيل لحيته أمام أهله ويجلدون كل من تُظهر وجهها وكل من يطيل ثوبه من الرجال في الساحة العامة

لقد دعت هذه المجموعات شبّان هذه المدن للمبايعة والتأييد وكل من يتخلّف أو يرفض يُجَذّ رأسه بالسيف ويُعلّق على العامود وكل من يؤيد حزب إسلامي آخر يُذبح بالسكين وهذا الذبح هو تطبيق لشرع الله للتقرّب من الله كما يدّعون.

هذه هي العقيدة التي ظهرت مؤخراً. إن آخر ما يلفظه المذبوح هو أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ثم يُذبح كما تُذبح النعاج ..

ثم يحتلون مدينة أخرى. يعتقلون شبابها ويأسرون بناتها ويتاجرون بأجسادهن ويفعلون كما فعلوا في المدينة الأخرى.

أليس الله جلّ جلاله هو القائل لمحمد النبي الحبيب «وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين» من أين أتوا بهذه التشريعات؟ أفعل هؤلاء مشابه لفعل الرسول والذي خُلقه القرآن .

كان النبي يحمل قمامة جاره اليهودي كل يوم ليرميها وفي اليوم الذي لم يجد قمامة ذهب إليه ليسأل عنه ويطمئن عن حاله فما كان من اليهودي إلا وأعلن إسلامه.

أفعل هؤلاء هو دعوة إلى سبيل الرب بالحكمة والموعظة الحسنة! أهؤلاء المسلمون رحماء فيما بينهم أشداء على أعدائهم؟ أهكذا يكون المؤمنون كالبنيان

المرصوص؟

علّمنا رسولنا الكريم كيف المساعدة والمحبة عندما قال «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» .. أليس المؤمنون كالجسد الواحد؟ أين الكلمة الطيبة من البنادق والسكاكين !.

بعد أداء الصلاة خرج من المسجد وقلبه يعتصر ألماً وأسفاً .. حقاً يجب علينا أن نتحّد لنتصدى لهذه الأفكار والمغالاة في التشريعات لأنها لا تفتك إلا بأهلها والأهم أنهم هم الخاسرون أنفسهم هذا يعني أن أعداء الإسلام هم الرابحون ...

إلى أين يذهب الآن؟.. شرد قليلاً .. قال في خلده : أأعود إلى البيت؟ ماذا أفعل في البيت ليس أمامي إلا الراحة. سأجلس في المقهى أحب أن يصفى ذهني قليلاً.

....

جلس وأسرع النادل ليسأله عن طلبه فطلب منه الانتظار قليلاً. قدّر النادل معنى هذا الطلب وابتسم وغادر ...

عاد النادل بعد نصف ساعة وهو متردد أيسأله عن طلبه أم لا ثم اقترب يستفسر إن كان قد قرر أن يُحضر له شيء فطلب منه كأس من الليمون

ثم قال في سره : يجب عليّ إعلام عمي أبو محمود وبقية أعمامي سأتصل بعمي وهو يتولّى البقية ...

فتح جواله وطلب رقم عمه بعد السلام قال : أريد أن أعلمك بأنني وقّعت العقد مع المتعهد محمد حامد وأحب أن أراك أنت وأعمامي اليوم بعد العشاء لنتحدث وأضعكم بصورة الاتفاق.

أحس أن عمه شعر بالسرور كونه خصّه بالخبر أولاً فشكره ودعاه إلى بيته فهو

بانتظاره.

....

عاد إلى منزله وبدّل ملابسه وبدأ بالكتابة من جديد ...

أكمل : ولعلنا لو تأملنا سور القرآن الكريم وتمعّنا في كلماته وألفاظه ومعانيه لوجدنا أن الدين عند الله واحد فهو سبحانه القائل في سورة المؤمنون ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (آية ٥٢).

ويقول تعالى في سورة البقرة ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥﴾.

إن نبينا محمد ﷺ آمن بأخيه عيسى بن مريم نبي ورسول الله إلى قومه كما آمن عيسى بنبي يأتي بعده اسمه أحمد .. وكل من محمد وعيسى آمنا بأخيهم موسى نبي الله ورسوله..

تزحزح وتنحنح قليلاً وبدأ بالتثاؤب فكلما بدأ بالكتابة شعر بالنعاس !.. وضع القلم جانباً واستلقى على سريره.قال في خلده : يجب عليّ أن لا أنسى العقد لكي آخذه معي إلى منزل عمّي .. ثم غفا.

صحى وصلّى المغرب والعصر قضاء ثم نظر من النافذة وحدّث نفسه : منذ مدة لم يعد ذلك الشخص المشبوه إنه يخطط لشيء ما ..اللهم نجّنا من كيد الماكرين وخرج.

....

وصل إلى المقهى وطلب من النادل طبق من البطيخ فهو يحبّ أكل البطيخ. أجابه : سهلة جداً ، عشر دقائق ويكون الطبق جاهز.

هو مسرور من هذا النادل حيث أنه يفعل كل مايطلبه منه. إنه نشيط ومجتهد في تحصيل لقمة عيشه ..وأحضر له ما طلب وكانت البطيخة حلوة فحمد الله و..

....

بعد صلاة العشاء وصل إلى بيت عمّه أبو محمود وقبل دخوله أتته فكرة جنونية وهذه الفكرة مبنية على ما جرى في الإجتماعات السابقة.

حمل جوّاله وطلب رقم عمّه أبو محمود ردّ بالسلام قال له : عمّي اسمعني أنا قريب من باب بيتك لا ترفع صوتك لا تجعلهم يعرفون أني أكلمك اخرج لو سمحت أريد التحدث معك على إنفراد فأنت ذو عقل راجح ورأي سديد ، بالإضافة إلى أنك الأذكى بينهم ، تعال إليّ وقفل الخط دون أن يترك له مجالاً للردّ .

ماهي إلا دقيقة إلا وقد خرج عمّه وقال له :

اسمع ياعم اتفقنا مع المهندس محمد حامد وهذا هو العقد انظر قد رسم مخطط خارجي للعمارة وتصوره للشرفات والديكورات.

إنها رائعة وستنال إعجابك بعد عدّة أيام سيتم هدم بيتي وبيت عبدالله قال : تقصد البيت الذي يسكنه عبدالله. قال : تماماً ، الذي يسكنه عبدالله وسيقوم بالتنظيف والحفر والبدء بأعمال العمارة .

بعد ذلك سنجلس ونوزّع الحصص بيننا وبين المتعهّد.. بعد ذلك نجلس نحن فيما بيننا ونتقاسم الحصص المتفق عليها.

قاطعه وكأنه أدرك المقصود قائلاً : تقصد أن التوزيع ليس الآن أليس كذلك؟ أومأ برأسه مبتسماً فقد فهم عمّه المقصود ... ثم دخلا وأشار له أن اتبعني.... ودخل وتبعه إلى الصالة.

....

كان في الصالة أعمامه وأولادهم وثلاثة رجال لا يعرفهم سلّم بهدوء وجلس على عجل .. تعالت التمتمات تحدث أبو محمود :

اسمعوني جيداً أخيراً سيبدأ المتعهد بإنشاء العمارة ارتفعت التمتمات ومنها : أخيراً! .. الحمد لله .. الله أعلم متى سنرى العمارة بعد هذا الزمن ، ما حصتنا؟ كم سيتملّك المتعهّد؟ و...

وقف هاني ابن عمّه وحذّر بصوت مسموع :

يجب علينا أن نتفق أولاً وقال ياسين مشترطاً : ستكون حصتنا نحن في الطوابق السفلية الأولى والثانية ، قاطعه محمود ضع في حسابك أن حصتنا نصفها شقق ونريد النصف الآخر محلات تجاريّة لأن الـ..

قاطعه عمه أبو محمود : اتركوني أتحدث أنتم لا تحترمون الكبير أيّده أخوه أبو ياسين وأردف قائلاً : نحن حضرنا إلى منزل عمكم وعلينا الاستماع لما يقول ... قال عمه أبو محمود : كلٌ منا سيرضى بحصته إن شاء الله المتعهّد ابن حلال سيقوم بهدم بيت ابن عمكم أبو عرب وبيت عبدالله وسيحضّر للأساسات وسيبني العمارة التي ...

قاطعه هاني : يجب أن نوافق على حصتنا ولا تفرض علينا كرهاً .. اقترح ياسين : الآن كل واحد منّا يحدد رغبته نحن رغبتنا هي الطوابق السفلية.

اشترط محمود : لنا حصة من الطوابق العلوية لأن الـ.. قاطعه ياسين : الآن لا يشترط أحد على أيّ شقة فالشـ.. قاطعه أبو هاني : يجب أن نهدأ لنتفاهم .. الشقق ليست بنفس السعر فالطوابق العلوية أغلى من السفلية.

اعترض أبو هاني : الطوابق العلوّية أرخص من العلوّية –شعر أنه أخطأ– هه!!

فقال أبو ياسين : الطوابق العلويّة أرخص من السفليّة.

أكد محمود : لا أبداً ، السفلية أغلى من العلوية – تراجع عن حدّة صوته وقال: هه أغلى أم أرخـ.. فقاطعه ياسين : أنت لا تدرك ماذا تقول ...هـه!! .. أم ... استمروا على هذا الجدال وهو صامت تلفت حوله .. ثم قرر الانسحاب بهدوء ولم يلتفت إليه أحد ..حمل حذاءه بيده إلى أن ابتعد .. لبسه وتابع سيره مسرعاً ..

....

وصل إلى بيت عمر .. طرق الباب فخرج عمر بملابس النوم مرحباً : أهلاً بك ، إني أنتظرك لأني أعلم أن مهمتك صعبة مع أعمامك ادخل والتقط أنفاسك.

أجابه : لا ، الوقت متأخّر فقد جئت لأرى الغرف .. رد عمر : كما تريد انظر وأشار له : هاتان الغرفتان لك وتلك الغرف الثلاثة لعائلة عبدالله وبينكم هذه الفسحة ...والغرف مكسيّة وجاهزة للسكن اعتباراً من الغد.

سرّه هذا الحديث وقال لصاحبه : أتمنى أن يبنى جداراً فاصلاً بين الدارين لتتمكّن سالي من عملها المنزلي بحريّة دون أن يراها أحد فوافق ..

-أثناء خروجه من عند عمر عاد بذاكرته إلى ذاك اليوم الذي تعرّف فيه على عمر، فهو الصديق الوفي المحترم.

«في يوم من الأيام حضر عمر إلى المدرسة كمندوب من قبل وزارة التربية والتعليم ليُدخل جهاز الحاسوب في المنهاج المدرسي ويتمكّن الطلاب من التدرّب عليه واستخدامه كانت المهمة صعبة عليه يومها فساعده بكثير من الإجراءات، فاتفقا على الاستمرار معاً في هذه العلاقة المتميزة والآن يعمل في صحيفة الوطن بعد أن أنهى علاقته بالوزارة ويقف بجانبه ليلاً نهاراً لأن الدافع لذلك هو الحب في الله».

وصل إلى بيته وتأمل بابه ونافذته وتأسف وكأنه يودّع محباً ..سمع صوت سعال عبدالله اقترب من بيته .. لا شيء سوى صوت سعاله.

طرق الباب بهدوء فتحت سالي الباب دون أن تسأل من الطارق تبدو حزينة وعلائم القلق بادية على محياها وجهها شاحب والدمع يملأ مقلتيها.

حياها فردت بكلمات متقطعة. سألها : ألم يتحسّن على الدواء؟ أجابت : لا حتى الدواء الذي كان يتناوله الأسبوع الماضي فعّال أكثر.

/ وكان قد وصل إلى الداخل/ سلّم على عبدالله ودعا له بالصحة والسلامة قالت سالي : أعطيته جرعة من دواء سريع المفعول قبل خمس دقائق وسيهدأ السعال والألم إن شاء الله.

شعر بأن الوقت غير ملائم لإخبارهم بضرورة الإنتقال إلى البيت الجديد لكن الوقت بدأ بالنفاذ ..

سأل عبدالله : ما رأيك بأن تنتقل إلى بيت جديد؟ أجاب عبدالله : من أجل العمارة الجديدة؟ سألت سالي: متى؟

أجاب أبو عرب : غداً إنه بيت مكوّن من ثلاث غرف واسعة تطل على فسحة وتستطيعين نشر الغسيل وزراعة الورود وتلهو مريم بجانبك. سأل عبدالله : وأنت يا أبا الطيب؟

أجاب : لي غرفة وصالة بجانبكم تماماً واعتباراً من الصباح سيرفعون جداراً عازلاً قالت سالي : كم يريدون أجرة هذا المنزل بالشهر؟

رد عليها : لاتقلقي بشأن النقود / هو يتوقع بأن عمر لن يأخذ شيئاً/ غداً بعد المغرب سأحضر سيارة كبيرة وسيتولى العمال نقل الأثاث والأمتعة أنتم كونوا على

راحة تامة.

نظر إلى عبدالله رآه وقد تحسّن وخفّ سعاله فقال له : الحمد لله على سلامتك انتهت الأزمة ، سأذهب إلى بيتي وأحاول حزم أمتعتي وأغراضي .. هي بسيطة ولكن يجب عليّ التحضير لكلمة سألقيها غداً في المركز الثقافي.

قالت سالي : ما شاء الله حولك مثلك لا يحتاج إلى تحضير كلمة كأنك تتحدث بوحي من الله وتقول كلمات نابعة من الضمير وفّقك الله.

قال عبدالله : تفعل الخير وتقول الصدق لم أقابل أحد يخاف الله مثلك .. عند سماعه كلمات الإطراء من عبدالله وزوجته ردّد الآية الكريمة من سورة البقرة ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ ، قام وخرج مسلّماً ، وأثناء سيره نظر إلى السماء فانتابته نوبة من الشعور بالخوف والضعف معاً فرجفت شفتاه وذرفت من عينيه دموع طفل قد حُرم من أمه وأبيه.

....

دخل واستلقى على السرير لتهدأ نفسه قليلاً إن هذه الآية هي التي جعلته ينفعل هكذا نظر إلى الورقة والقلم وقال : لابدّ وأن أتابع الكتابة.

كتب : «أيها السادة الكرام. قبل أن أتعمّق بموضوعي اسمحوا لي أن أذكّر حضراتكم بمضمون كلمتي قبل أسابيع لأربط بين الموضوعين ...».

أثناء التفكير سمع وقع أقدام من الخارج تسير ثم تتوقف .. هذه الحركة تشبه وقع الأقدام ذاتها التي سمعها عند الفجر قبل عدة أيام.

ترك الكتابة وتحرّك رويّداً رويّداً ونظر من النافذة فوجد نفس الرجل الذي حضر وترك الورقة .. يا إلهي مَن هذا؟ (خاطب نفسه)

ها هو يبتعد ... لاحول ولاقوّة إلا بالله ... مَن يكون !

إنّه ... إنّه ليس الذي كنت أشك به .. كنت أظن أنه أحد أبناء أعمامي كنت أظن أنه محمود .. لا أبداً أعمامي وأولادهم عرفوا أن البيوت ستُهدم.

هذا الرجل رآني خارج المنزل واعتقد أني لم أرجع ...

إذاً عليّ أن أوهمه بأني خارج المنزل لن أصدر أي صوت هذه فرصة كي أتمكّن من الإمساك به ... اللهم ساعدني على ذلك يارب قوّني .. أريد الإمساك به فقط لا أريد العراك معه.

ها .. أنا أقف عند فتحة الباب وأستطيع مراقبته ومفاجأته.

لقد عاد .. يتلفّت حوله المسافة بيننا وبين الباب عشرة أمتار. إنه .. يُخرج ورقة من جيبه ويُخرج من قميصه مسدس حربي و ...

ما هذا؟ صليب معدني ! يضعهم فوق بعض عند الباب تماماً ... أدار بوجهه نحو الطريق لينهض ويغادر فما كان منه إلّا أن فتح الباب وأمسكه من رقبته وصاح به .

لا تتحرك قف مكانك اخلع هذا القناع بسرعة .. تحرّك فلم يستجب ..

ضغط على رقبته وكرر إلى أن ضاق تنفسه وأحسّ بالألم فخلع القناع ونظر إلى الأسفل .. إنه .. إنه .. أبو رامز إنه صديقي ذاك الذي دعاني إلى مزرعته وتحدثنا سوياً عن الدين وذكر الله و...

أمعن النظر به وأطرق رأسه منكسراً قال : أنت يا أبا رامز! تغدر بي وتحاول زرع الفتن بيني وبين هذه العائلة المسكينة. ألأنهم نصارى؟

هؤلاء أشرف منك. ما هذا الذي وضعته أمام بيتي مسدس؟! صليب؟ كل هذا وهو مازال ممسكاً برقبته.

أجاب : اتركني يا أبا عرب ولندخل إلى الصالة ونتحدث في الداخل

أجابه : لا ، سأتصل بقسم الشرطة .. أخرج جوّاله وكان مازال يمسك بالرجل من الخلف وطلب رقم النقيب مؤيد وبدأ بالموضوع مباشرةً : أنا أبو عرب أمسكت برجل يحمل مسدساً أمام بيتي وأنا أمسك به.

أجابه على الفور : دقائق وتكون الدوريّة عندك وأقفل.

ضغط على رقبة أبو رامز أكثر وقال : ندخل إلى الصالة ونتحدث بماذا ها؟ حتى تغدر بي مرّة ثانية مثلك الغدر في دمه .

أجابه : كل فعل له دوافعه. اسمح لي أن أشرح ظرفي .. فزجره : اخرس أنت وأمثالك لو كنتم على الحدود لسمحتم للعدو أن يدخل البلاد .. أتريد السكين؟! أجابه : هه! أضاف : السكين التي وضعتها أمام باب هذه العائلة المسكينة. فرد : أنا ابن البلد هم .. هم الذين.. فقاطعه قائلاً : ما الخطة الجديدة؟ توهمني بأنهم سيقتلوني وهذا المسدس جاهز لكي أقتلهم قبل أن يقتلوني.... مَن هم؟

العائلة النصرانية والدليل الصليب ، أنت غبي .. سمعا صوت سيارة الشرطة من بعيد فحاول الإفلات من يديه قائلاً : اتركني ..

اتركني أهرب سأُسجن قال : أنت الذي ستسبب لنفسك السجن وهو يصارعه ريثما تصل سيارة الشرطة سمع صوت مريم تنادي : ياعمّو الطيّب انتبه إنه يحمل سكينا بيده .

فما كان منه إلا وأسرع ليطعن أبو عرب فأدرك نفسه وتجنّب الطعنة وضغط على رقبته أكثر فسقطت السكين من يده ...

فأسرعت مريم وحملتها ناداها أبو عرب : يا مريم اتركيها وعودي إلى المنزل ..

نادتها أمها : تعالي إلى هنا يا مريم .. قال :

ابقِ مكانك أنتِ يا سالي وعودي للمنزل يا مريم بسرعة.

وصلت سيارة الشرطة بقيادة النقيب مؤيد قال لهم : استلموه وهذا السلاح وهذه النشرات التحريضية .. أسرعت العناصر بالإمساك به

شكر النقيب مؤيد أبو عرب ، ثم التفت إلى أبي رامز قائلاً : ما الذي دفعك لهذا؟ النقود ها؟ هذه خدمة لأعداء الوطن أنت عدوّ الإنسانية ، خذوه ، رد أبو رامز مستهزءاً : لي من سيدافع عني.

سأل النقيب : أيعتقد أنه مظلوم وفتح فمه؟ أجاب ساخراً : يعتقد أنه مظلوم لأنه لم يتقاضى أجره على ما فعل . ثم غادر وانطلقوا به.

رمق منزل عبدالله فوجده مع سالي ومريم يقفون خلف النافذة في خوف فتوجّه إليهم .

قال أبا عرب : شكراً يا مريم لقد حذرتني من طعنة السكين. أضافت مريم : رأيته يدخل يده إلى جيبه ويخرج السكين ، فصرخت كي تراه أنت بطل.

ردّ : وأنتِ بطلة .. قالت سالي : الحمدلله على سلامتك شكراً لله .

بدأ عبدالله بالسعال فطلب منه أبو عرب الدخول والاستلقاء على الفراش حمد ربّه شاكراً ودخل.

حدّثه أبو عرب : رأيت الذي يضع الأوراق ويهرب ويرمي الغسيل إلى الأرض .. هو الآن في طريقه إلى المحاكمة والسجن. هل تحتاجون لشيء؟ ردّت سالي : نريدك سالماً ، ادخل إلى بيتك وارتاح .. قال : إن شاء الله.

....

دخل بيته ونظر إلى الورقة والقلم على الطاولة وتمتم هذا النهار طويل جداً ثم وقف ونظر من النافذة ثم جلس ثم قال في خلده: هذا الأمر خطير .. غداً سأذهب إلى المركز الثقافي.... إلى أين وصلت ؟. غداً موعد الكلمة !!

ثم كتب «أرسل الله سبحانه وتعالى لكل أمّة نبي يدعوهم إلى وحدانية الله ويحثهم على فعل الخيرات وترك المعاصي».

بدأ بالتثاؤب عدّة مرّات وأحسّ برأسه يثقل وعيناه تدمعان فهذا اليوم متعب مرّت به أحداث كثيرة أحسّ بأن عليه النوم فوراً..... ترك القلم وذهب في نوم عميق ..

استيقظ على صوت المؤذّن لصلاة الفجر ، رفع رأسه إلى السماء وقال : أشهد بأن لا إله إلّا الله . الحمد لله ..

توضأ وصلّى..... وقرأ من سورة مريم﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ صدق الله العظيم .

ثم قرأ سورة ياسين وطلب من الله المغفرة لوالده .. نظر إلى الأوراق المرميّة على الطاولة ثم قرر العودة إلى النوم.

في حوالي الساعة العاشرة استيقظ من نومه على صوت مريم : عمّو الطيّب يقول لك بابا نحن جاهزون .. ابتسم وقال : حسناً ، سأتحدّث مع عمر لكي يرسل العمال والسيارة .. أمسك القلم والورقة وعزم على الانتهاء من الكتابة فالوقت يداهمه....

استغرق وقتاً طويلاً حتى انتهى من كتابة ما بدأ به..... فوضع القلم وحمد الله على إنهاء كلمته الآن..... هو جاهز لحضور اللقاء الاجتماعي .

تحدّث مع عمر فأخبره بأن السيارة ستكون عنده بعد ربع ساعة قام وبدأ بتجميع الأمتعة والملابس بشكل عشوائي ووضع صفحات الكلمة على مقربة من الباب بحيث تكون آخر ما يخرج من المنزل.

وفعلاً جاءت السيارة ومعها العمّال وأخذوا ينقلون الأثاث إلى المنزل الجديد وأخبرهم بأن عليهم العودة إلى منزل عبدالله ..

ثم خطر في باله كيف يذهب ويترك هؤلاء العمّال لوحدهم مع سالي!! فخاف عليها من نظرة سوء من قبل أحد العمّال فهو لايسمح بذلك ذهب معهم وعاد معهم إلى منزل عبدالله.

....

طرق الباب ففتحت سالي فأمرها بالجلوس حيث لا عمّال وسيشرف هو على حمل الأمتعة والأثاث ريثما ينتهوا.

شعر بأن سالي كانت مسرورة من موقفه هذا وبقي هو يشرف على العمّال ويحدث عبدالله ثم يخرج ويعود ليجلس بجانب عبدالله ومعه مريم أما بالنسبة لسالي فقد استجابت لكل كلامه وفعلت كما قال لها.

....

مضى من الوقت حوالي خمس ساعات وهو الآن مستقر في البيت الجديد وعائلة عبدالله كذلك ....

لقد ساعدهم في فرش الأثاث وأشياء أخرى وهم الآن يأخذون قسطاً من

الراحة.

بينما كان يتنفس الصعداء سمع رنين جوّاله. أنّه عمر.... وبعد السلام والاطمئنان سأله جاهز؟ فأغمض عينيه وفتحهما لقد نسي الندوة. تعجب وقال : إلى أين؟ سأله : ألا تريد الذهاب إلى الندوة؟ فضرب رأسه وشهق وقال : ياسبحان الله لقد سهوت وانشغلت بترتيب البيت ونسيت موعد الندوة .. الله أكبر. كم الساعة الآن؟

ردّ : دخلت على الخامسة .. أكمل : حسناً حسناً سأبدّل ملابسي وأقابلك عند باب بيتك لنذهب معاً. وقفل ..

بدّل ملابسه مسرعاً وتهيّأ للخروج ووقف عند الباب ثم تلفّت حوله وبحث عن الكلمة التي كتبها! أين .. أين ..؟ في الحقيبة البيضاء .. فتحها بسرعة وبحث فلم يجدها .. أين إذاً؟

في الحقيبة الـ.. لا.. وضعتها في الخزانة .. لا على .. على الرّف؟ .. أكيد .. بحث ولم يجد شيئاً أين وضعها ..؟

الوقت يجري .. عمر ينتظره فتذكّر .. ياه ..ياالله لقد وضعتها عند الباب في البيت القديم سأخرج لأحضرها بسرعة .. استغفر الله العظيم ما هذا العقل التائه الضعيف!..

....

ركض إلى الخارج ووصل إلى الطريق قابل شاباً يقود درّاجة ناريّة أوقفه وسلّم عليه وطلب منه الركوب معه وقال : نسيت أوراقاً في المنزل وأنا على عجل من أمري أجاب : حاضر اركب .. ركب مسرعاً.

....

وصلا إلى البيت القديم وأوّل ما وقعت عليه عينه صفحة طائرة في الهواء.....

....

وصفحة اقتربت من غصن شجرة واستقرّت عليه وصفحة ثالثة نزلت في حلّة ماء .. يالله أين هي الورقة الرابعة؟..... وجدها مرميّة جانباً حملها وقرأ «هذه هي الكلمات التي أرغب قولها لحضراتكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

....

نظر إلى الأوراق وعاد إلى الشاب ودرّاجته....

صعد على الدرّاجة سأله الشاب : هل وجدتها يا أستاذ؟ أجاب : أجل وجدتها وانطلق مسرعاً .

....

وعندما وصلا إلى الزقاق أشار له أن يذهب إلى منزل عمر .. اقتربا من المنزل .

نزل أبو عرب وهو بحالة من التوتر والامتعاض فأخبره بأنه نسي الكلمة في البيت القديم عاد فوجدها تناثرت في الهواء فابتسم عمر وأراد أن يضحك ولكنه حبس ضحكته مراعاة لزميله ثم قال : طالما تناثرت وانتهى الأمر فما عليك إلا أن تعود إلى البيت أو نذهب أنا وأنت إلى القهوة فقاطعه وقال : لا، لا ياعمر فلنذهب إلى الندوة ومشى أمامه فتبعه دون أي كلام وكأنهما ذاهبان إلى العزاء.

....

وصلا إلى المركز ودخلا قاعة الاجتماع .

في القاعة عدد كبير من الناس ، المسؤولون في الصفوف الأولى كما هي العادة ليست في بلادنا العربية فقط بل في كل بلاد العالم ، وخلفهم يتدرّج المقرّبون ومن

بعدهم أصحاب الكفوف القويّة للتصفيق! .

ترافق دخولهم مع انتهاء كلمة كان يلقيها رجل مسؤول قبله فما كان من مقدّم الندوة إلّا وابتسم للحضور قائلاً :

الحمد لله لقد حضر الأستاذ أبو عرب وندعوه لإلقاء كلمته ساد التصفيق ...

وجد أبو عرب نفسه مدفوعاً نحو المنصّة والجلوس بين ثلاثة رجال بينهم مقدّم الندوة بماذا يبدأ!؟ فالكلمة طارت والأفكار طارت من رأسه جلس مصطنعاً الهدوء وتوسّل إلى ربه بالمدد والعون ..

كانت صور الوجوه أمامه غير واضحة ولم يستطع التمييز بينها من شدّة ارتباكه التفت إلى مدير المركز وابتسم ثم بدأ كلمته قائلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم أيها السادة الكرام يسرني أن ألتقي بكم وأشكر الأستاذ مدير المركز الثقافي لإستضافتي أحببت اليوم أن ألفت نظر سيادتكم إلى نظرة الإسلام وموقفه من الديانات السماوية الأخرى وقبل الحديث عن هذا الموضوع لا بدّ لي من وقفة عند نظرة الإسلام إلى العمل......

العمل الذي سيواجه به العبد ربه سبحانه وتعالى فقد قال الرسول العظيم ﷺ في آخر خطبة « ...**أَيُّهَا النَّاسُ !إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ لِآدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ لا فضل لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ إِلَّا بِالتَّقْوَى** ».....

أخذ يتأمّل الصفوف الأولى وتابع :

فالعمل الصالح فقط هو الفرق بين أفراد المجتمع فقد دعا رسول الله إليه ذات يوم ابنته فاطمة وعمّه العباس وفريقاً من بني هاشم .. فقال لابنته فاطمة :

يافاطمة اعملي فإن محمداً لن يغنِ عنك من الله شيئاً .. ثم توجّه إلى عمّه

العباس فقال : ياعباس عم محمد اعمل فإن محمداً لا يغنِ عنك من الله شيئاً ثم توجّه إلى بني هاشم وحثّهم أيضاً على العمل الصالح .

وجاء الخليفة الصدّيق من بعد محمد ﷺ وكان أوّل خطاب له حين قال رضي الله عنه : إن أضعفكم عندي قوي حتى آخذ الحق له ألا وإن أقواكم عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه.

وكان عمر بن الخطاب وهو أمير المؤمنين يقول في بلال والذي كان عبداً : «إن بلال سيدنا» ..

هذه جوانب من تواضع وأقوال الرسول الكريم وصدّيقيه .

أمّا موضوع تعامل المسلمين مع غير المسلمين فإني ألفت نظر حضراتكم إلى ما فعله رسولنا الكريم في هجرته الشريفة إذ استعان برجل يدعى عبدالله بن الأريقط ليكون هادياً ودليلاً وهو في الطريق إلى المدينة المنورة

فقد تعامل مع هذا الرجل في أخطر رحلة في نشأة الإسلام مع أنه كان يتبع دين أهله ولم يتبع الدين الإسلامي وعندما وصل الرسول الكريم إلى المدينة المنورة اتخذ قرار التعايش مع اليهود إذ قال الله تعالى في سورة البقرة:

﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾.. ويقول سبحانه وتعالى في سورة النساء ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ آية (٩٠).

وكان الرسول ﷺ يقاتل الذين يقاتلون المسلمين فقط والذين ينكثون عهداً عاهدوا به الرسول وظهرت منهم بوادر خيانة.

وكان ﷺ يقاتل ما من شأنه أن يثير الفتنة ويعوق الدعوة الإسلامية ويهدد

سلامة الدولة أمّا بالنسبة للنصارى أتباع النبي عيسى بن مريم عليه السلام وأرضهم وأماكن عباداتهم فالإسلام يوجب على المسلمين أن يتركوا أهل هذه البلاد أحراراً في عقائدهم وشعائرهم وفي هذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في معاهدته مع أهل بيت المقدس عقب فتحه له «هذا ما أعطى عمر أهل إيلياء من الأمان»

أعطاهم الأمان لكنائسهم وصلبانهم ولا يكرهون على ترك دينهم ويقول عمرو بن العاص في معاهدته مع المصريين بعد فتحه مصر:

«هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان» .. أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم وبرّهم وبحرهم .. لا بل ودافع عن النصارى عندما اعتدى عليهم النصارى أيضاً وذلك عندما فرض الرومان المذهب الملكاني على نصارى مصر الذين يتبعون المذهب اليعقوبي وصرّح لهم بفتح الكنائس اليعقوبية التي كان قد أغلقها الرومان .

وقد رسم سيف الله خالد بن الوليد أجمل الصور في هذا المجال عندما فتح دمشق .

إذ أعطى النصارى هناك كافة حقوقهم وأعطى الأمان لأفرادهم وكنائسهم ودور عباداتهم ،والحرية في ممارسة الطقوس الدينية ورفع الشعارات وإلى ماهناك مقابل عدم الإعتداء والإلتزام بالعهود من دفع الجزية واحترام مبادئ الدين الإسلامي وتطبيق أحكامه

وقد قال النبي ﷺ «من آذى ذمياً فقد آذاني» .

يقول الله تعالى في سورة الممتحنة ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾.

ومن هذا كله يجب على بني البشر كلهم من كافة الديانات أن ينصفوا الدين

الإسلامي ويدافعوا عنه ويبينوا شريعته الإنسانية النبيلة الصحيحة وتوجيهاته في تعامله مع أهل الذمّة اليهود والنصارى ..

ما ذكرته من آيات وأحاديث نبوية شريفة وتاريخ رجال وقادة المسلمين ماهو إلا جزء بسيط جداً من نظرة المسلمين لغير المسلمين والبراهين والشواهد كثيرة جداً جداً.

والغريب أن هناك من يتهم الإسلام بالإرهاب أو يكذبون ليقولوا أن الإسلام انتشر بحد السيف هذا افتراء وكلام فيه تظلّم وكذب .. نحن نقول لا وألف لا. الإسلام انتشر بالحق والعدل والمساواة بين البشر الإسلام انتشر بفضل السلوك الأخلاقي والمعاملة اللطيفة المليئة بالاحترام والصدق والتسامح والمحبة التي تميز بها أتباع هذا الدين مقتدين بإمامهم ومعلمهم حبيب الله وخاتم المرسلين محمد ﷺ والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

انتهى من كلمته وكان بغاية السرور مع أن هذا الكلام ليس ذاك الكلام الذي حضّره وطار في الهواء.

....

خرج مع عمر وتوجها إلى بيته الجديد. همس لعمر : لا أحب أن أرى البيت يتهدّم أمامي فلي فيه ذكريات كثيرة. رد عمر مداعباً :

نعم ذكريات كثيرة وآخر ذكرياتك طيران أوراقك في الهواء وضحكا. قال : سبحان الله ثلاثة أيام وأنا أكتب وأختار العبارات المؤثرة وقبل ربع ساعة من الاجتماع حلّقت...

قال عمر : لكن الكلام الذي قلته مؤثرٌ وجميلٌ. أضاف : هذا بفضل ربي ..

أتعلم أني تركت عبدالله بحالة صحيّة خطيرة.

رد عمر : مسكين .. عافاه الله . أضاف مؤيداً : نعم إنه طيّب ومسالم لأبعد الحدود لكن الأدوية التي يتناولها عبارة عن مسكنات فقط ولا تشفي من المرض. سأحضر له الدواء الطبيعي من نباتات وأعشاب .. مثل النعناع والحبّة السوداء وعسل النحل والزنجبيل وزيوت النباتات بدل من هذه المواد الكيميائية ..

أجاب : فعلاً الأدوية الطبيعية أفضل من الأدوية الكيميائية. اذهب أنت لإحضار المواد تلك وستتحدث فيما بعد .. إلى اللقاء وتفرقا.

مشى أبو عرب خطوات قليلة فإذا برجل أربعيني يسلّم عليه رد السلام سأله الرجل: أتعرفني؟

أجاب أبو عرب : لا، لا أعرف حضرتك .. قال : اسمي إسحاق وأقطن في طرف المدينة. ابتسم وقال له : تشرفنا بمعرفتك .. أضاف : إن ابني موشا كان من تلاميذك. أجابه متذكراً : موشا .. موشا أذكر هذا الإسم. أضاف : أنا كنت من المدعوين في القاعة. قال :

الحقيقة لم أنتبه لحضرتك فالعدد كان كبيراً .. أضاف : تابعت باهتمام كلمة حضرتك وأحب أن ألفت نظرك إلى أنك عندما تذكر أهل الذمّة تركّز على النصارى ولم تركّز على اليهود «تذكّر أبو عرب هنا أن موشا كان تلميذاً عنده وهو من أتباع الديانة اليهودية وأبوه اسمه اسحاق ويقطن في الحي الشرقي أي طرف المدينة إذاً هو يهودي» سأله : سيد اسحاق أنت من أتباع الديانة اليهودية؟ أجاب نعم فأضاف شارحاً :

اسمعني سيد إسحاق. ماينطبق على الطائفة النصرانية ينطبق على أتباع الطائفة اليهودية وأنا ذكرت أن الرسول الكريم قال : «من آذى ذمّياً فقد آذاني» وأنت من

أهل الذمّة وذكرت أن النبي محمد ﷺ اتخذ قرار التعايش مع اليهود عندما هـاجر إلى المدينة المنورة وذكرت آيات القرآن الكريم من سورة البقرة ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ ﴾.

وذكرت أن الله سبحانه وتعـالى قـال في القـرآن الكـريم في سـورة النسـاء ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴾ .

هذا كله بحق اليهود خاصة.إن الإسلام أستاذ اسحاق يقاتل من يقاتله فقط.

الإسلام يقاتل من ينكثون العهود فقـط يقاتـل مـن يـدبّر المـؤامرات ويخـون الإتفاقات لايعتدي على أحد أي لايعتـدي أو يظلـم اليهـود .. هـز برأسـه وقـال : شكراً .. وابتعد.

قال في نفسه : لم أقل شيء يجرحه ...ما الذي يريد قوله هذا الرجل!..

....

توجه إلى دكان عطارة كان والده يشتري من والـد البـائع الحـالي إنهـم يبيعـون بضمير وخبرة.

....

ماهي إلا دقائق حتى وصل إليه اشترى من عنده الزهورات والزنجبيل والحبة السوداء والزعتر البري والعسل وذكر له إن أفضل العسل هو المأخوذ من اليمن أو من الشام أي إما من يمين مكة المكرمة أو من شمالها .. حمل الأكياس وتوجـه إلى المنزل.

....

قبل وصوله بأربعين متراً شاهد سالي من بعيد واقفة محتارة وتتلفت يميناً وشمالاً وهي تفرك كفيها .. أدرك مباشرةً أن عبدالله في خطر أسرع نحوها وسألها عن عبدالله الآن هل هو في خطر؟

قالت : نعم والدموع تملئ عينيها أضاف معاتباً : لماذا لم تكلمينِ وتستعجلينِ؟ أجابت وصوتها متقطع من البكاء : أنت في المركز الثقافي تلقي كلمة و.. قاطعها قائلاً : تعالي .. خذي هذه إخترتها له بدلاً من علب الدواء.

دخلا فقابلته مريم والدموع في عينيها قال لها : لاتقلقي يامريم سيكون البابا بخير إن شاء الله .. ووضع يده على شعرها مواسيًا

وصل إلى سرير عبدالله وجده بأسوأ حالاته الصحية شاحب الوجه عيناه جاحظتان حمراوتان ، أغلب أعضاؤه ترتجف قال لسالي :

يجب نقله إلى المستشفى فوراً حضّري نفسك سأحضر سيارة لنقله بأقصى سرعة هكذا أخبر سالي وهو يركض لإحضار السيارة ..

خرجت وهي تقول كلمات لفتت نظره إذ قالت «لا حول ولا قوّة إلا بالله» .. قابلته مريم فقال لها : أباك سيشفى يا مريم ابقِ مع أمك ها .. فردت : لا تتركنا .. كان لهذه الكلمات وقع مؤثر في نفسه شعر بانفعال في داخله هذا الانفعال مختلط مابين الشفقة والحنان ..فقد شعر بالحزن على هذه الفتاة التي أحست أن أباها قد وصل لأخطر حالاته الصحية فنطقت بهذه الكلمات. قال والدمع يملأ عينيه لهذا الموقف :

أنا أترككم يا مريم! لا ، لن أترككم إن شاء الله ... انتظري مع أمك ريثما أحضر سيارة وخرج.

....

حين خروجه شاهد سيارة خاصة فأشار لصاحبها فتوقف قال له : أرجوك عندي مريض بحالة خطرة وبحاجة لنقله إلى المستشفى رد : حاضر عافاه الله أين هو؟ ...

....

وصلوا إلى قسم الإسعاف في المشفى حيث تم إجراء الإسعافات الأولية .. ثم نقلوه إلى العناية المشددة. بقي أبو عرب يراقب تحركات الأطباء بينما كانت سالي قلقة باكية تحتضن مريم تارة وتمسح دموعها تارة أخرى ..

مضى ساعتان وهم على تلك الحالة حمل أبو عرب مريم بين ذراعيه وجلس على مقعد قريب ثم استسلم لنوم عميق.....

خرج الطبيب المشرف من العناية المشدّدة مكفهرّ الوجه سألته سالي عن زوجها فلم يجب.... استيقظ أبو عرب وتقدم نحوه وسأله فقال بعد تردد : البقاء لله .. صرخت سالي : وامصيبتاه .. اقترب منها وقال : اهدأي أرجوكِ قالت : مات عبدالله يا مصيبتاه .. ياليتني مت قبله.... ياخسارتك ياعبدالله.... وكررت هذه العبارات ومازال يحمل مريم الباكية.... همس : إنها إرادة الله قالت : زوجي ووالد ابنتي .. مازال في ريعان شبابه .. يا آسفاه عليك ياعبدالله .. يامصيبتي.

التفّ حولهم بعض الحاضرين والممرضات وساد الحزن المكان....

قال في نفسه: فلنبدأ الآن مرحلة إعلام الأقارب والدفن والعزاء و... جانباً اتصلت سالي بأخيها وأعلمته وهي تبكي اقترب منها وأشارت له أن المتكلم هو أخوها فأشار لها أريد التحدث معه فقالت لأخيها :

تحدث مع السيد أبو الطيب وأعطته الهاتف سلّم عليه وقدم له العزاء طلب منه

أن يُعلم شقيق عبدالله وبقيّة أهله وقال : أرجو أن تحضروا معاً وتخبرونني بموعد قدومكم حتى أرشدكم إلى العنوان الجديد وأعاد الهاتف لها.

سالي الآن في موقف لم تتعرّض لمثله في حياتها قال لإحدى الموظفات الواقفات : لو سمحتي خذي سالي إلى مكان تغسل فيه وجهها قالت سالي : لا أريد شيء يا أبا الطيب لقد فارقنا عبدالله .. رد عليها :

ليس بإرادته كان يحبكم ويحب الحياة لكن قضاء الله وقدره هما اللذان يتحكمان بنا. قولي«إنا لله وإنا إليه راجعون» فقالتها وهي تنظر إلى السماء ..

فدعا وقال : اللهم صبّر سالي وقوّها وارحم زوجها. امنحها الصلابة لتصبح قادرة على رعاية ابنتها يا أرحم الراحمين .. بهذا الدعاء غادروا المشفى وبقي جسد عبدالله في الثلاجة.

....

في اليوم التالي تم إجراء التجهيزات اللازمة للعزاء .. حضر الكثير من الأقارب وكان من بين الحاضرين أحمد خليل الورداني وأولاد عمه محمود وهاني وياسين وزوج أخت سالي وعمر و...

توزّعت النسوة في دار سالي استعداداً للتحضيرات القادمة .. ومازال جسد عبدالله في المشفى. حمل أبو عرب الهاتف ليحدث سالي وليسألها عن الإجراءات القادمة فاستدرك وقال :

يجب التحدث معها مباشرةً. ذهب إلى باب بيتها وطلب من إحدى الواقفات أن تناديها.... حضرت سالي قال لها : سالي جئت لأسألك بعض الأسئلة قالت تفضل .. فسألها :

ماذا عن الصلاة والدفن و.. هل أذهب لوحدي أم تذهبين معي ... في .. في أيّ .. فقاطعته قائلة : تحدثت مع راعي الكنيسة الأب جرجس والكنيسة مكفّلة بأن تحضر الجثمان حتى تتم الصلاة عليه لترتاح روحه.

استفسر : الصلاة في الكنيسة الغربية أم الشرقية؟ أجابت : الشرقية القديمة في نهاية السوق. أضاف : حسناً هل تحتاجين لشيء؟ أجابت : لا شكراً لك .. غادر وعاد إلى مكانه ..

مضت ساعات مليئة بالأسى والتعب والحزن.

- في المساء سمع صوت سيارة تقف بالقرب من دار سالي دخل إلى الدار شاب وفتاة فَهِمَ أنهما حَضرا ليأخذا سالي ومريم إلى الكنيسة لأداء الصلاة على جثمان عبدالله .

اقترب من السيارة خرجت سالي بملابس سوداء ومعها مريم شاهدته فاقتربت منه وقالت : أبو الطيب هؤلاء من قبل الراعي جرجس حضروا ليأخذونني إلى الكنيسة أجاب : اعلمي أن الله يحب عباده ويحب من يوحّده فليقويك الله.... غادرت وعينا مريم لم تفارقه.

....

ماهي إلا ساعتان تقريباً حتى وصل هو وعمر إلى الكنيسة إنها الكنيسة التي كان يمر من أمامها كل هذا الوقت ولم يدخلها ..

جدرانها سميكة جداً السقف مرتفع جداً أعتقد أن عمرَ بناؤها ألف سنة. صخور الجدران قادرة على الثبات لأكثر من ألف سنة أيضاً إنها منتقاة بعناية .

لقد شهدت هذه الصخور مئات الآلاف من البشر وهم أجسادٌ هامدة جاؤوا

ليودعوها لأنها هي الباقية وهم المغادرون ..

كانت المقاعد ممتلئة بالحضور القليل منهم أقرباء عبدالله والبقية جاؤوا لأداء الواجب ليحصلوا على الثواب ..

مازال يقف عند الباب برفقة عمر.

تأمل أبو عرب الحضور حتى وقعت عيناه على عيني سالي إنها حزينة كل الحزن تعبت من البكاء عيناها متأملة تنتظر الأحداث المجهولة القادمة .. جامدة ثابتة كانت فتحة عينيها أوسع قبل ثلاثة أيام الآن تورمت أجفانها .

إن قلبها الآن ينبض بهدوء أعتقد أن قلبها سينبض بالإيمان والنور يوماً ما أعتقد أن قلبها سيصل إلى حقيقة الإيمان الخالص لله الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد ... يجب على كل من يؤمن بالله أن يسلّم أمره لله ويسلّم عقله لله ويسلّم فؤاده لله وكل سكناته وحركاته وروحه لله وحده سبحانه .

كيف ستصل سالي إلى هذا التسليم أي إلى هذا الإسلام؟ إنه الرسول الذي جاء بالقرآن وبلّغ هذه الرسالة ..

أزاحت نظرها فشاهدته فأشارت لرجل من الرجال ليستقبله..... وفعلاً جلس هو وعمر بين الحضور. همس له عمر : هل دخولنا للكنيسة وجلوسنا فيها واستماعنا لما يقال فيه شيء غير محبب أو فيه ... فقاطعه قائلاً :

الأرض كلها لله كلها طاهرة ونحن عندما ندخل ونشارك بالعزاء فهذا نابع من إنسانيتنا واحترامنا للدين السماوي للنصرانية دين عيسى بن مريم عليه السلام ، كيف والمسجى أمامنا الآن هو عبدالله الصديق والجار والحبيب ..

حصل بعد ذلك بعض الإجراءات العبادية .

المفاجأة التي حصلت : أن الطفلة مريم كسرت التقاليد والنظام المتبع حيث

اخترقت الصفوف واقتربت منه تريد أن تجلس في حضنه فما كان منه إلا أن ساعدها وحملها وضمها إلى صدره وشدته بقوة ثم أخذها أحد الأقارب بهدوء وأعادها إلى أمها.

بدأ الخوري ومعه القسيس يتلوان كلاماً باللغة الآرامية وربما اللغة السريانية وهو يعتقد أن هذه اللغة هي نفسها اللغة التي كان يتحدث بها النبي عيسى عليه السلام وهذه اللغة أصبحت الآن إما مهجورة أو مندثرة إلى حد ما فهي مازالت حيّة في شمال مدينة دمشق في منطقة القلمون الغربي سكان المدن هناك هم وحدهم يتحدثون اللغة السريانية ويظن أنه لاتوجد منطقة في العالم يتحدث أهلها اللغة التي كان يتحدث بها النبي عيسى إلا هذه المناطق.

أخذ رجل الدين يلوّح بحاملة البخور ويقرأ من الإنجيل آيات فهم منها أن روح عبدالله أصبحت في سماء الله ويطلب من الرب تعالى أن يصبّر زوجته وأقاربه على مرارة الفراق ...

كان وجه عبدالله مكشوفاً ويرتدي ثياباً أنيقة جداً وكأنه في ليلة زفافه حتى الحذاء وربطة العنق وتسريحة الشعر.

تأمل وجهه وعادت به الذاكرة «إلى لحظات جميلة كانا فيها معاً. بدءاً من أيام الشباب في رحلاتهم إلى البساتين مع أهلهم مروراً بكثرة السعال وإشتداد المرض ومؤامرات أبي رامز الذي يلاقي محاكمته وسيعاقب عليها وانتهاءً بالأزمة الأخيرة التي أطاحت به »...

كانت سالي جامدة متأملة لا تتزحزح كأنها قطعة من الجليد ما الذي يدور في خلدها؟ .. الله وحده يعلم. إن مصيبتها ليس بعدها مصيبة.

ستتم بعد الصلاة عملية الدفن ثم يعود كل إلى بيته وستعود سالي إلى دارها الذي لم ينم عبدالله فيه إلا ليلتان ..

....

خرجوا من الكنيسة وذهبوا معاً إلى المقبرة التي كان يمرّ دائماً بجانبها دخلوها وتمت عملية الدفن كانت المقبرة مختلفة تماماً عن مقابر المسلمين ، كل شيء بدا له مختلفاً تماماً حتى طريقة الدفن وخرجوا جميعاً.

....

عاد الناس كل إلى مايشغله .

كان أبو عرب يتنقل بين المنزل والمقهى والمسجد وبيت عمر خطر في باله أن يذهب إلى قسم الشرطة فقد خفّت الضغوط عليه سيقابل النقيب مؤيد ويفهم منه نتيجة التحقيق مع أبي رامز هذا إنه كالنمس فكيف استطاع أن يوهمه بأنه يحبه وأنه حريص على صحته ودعاه إلى مزرعته!!.

ولم ينسَ كيف كان يطعم خرفانه من برسيم شريكه والسبحة والتفاحة و.....هذا كله بسيط أمام الفتن التي كان يزرعها بين أبناء البلد الواحد ..

....

اقترب من قسم الشرطة وأوقفه الحارس عرّفه عن نفسه وطلب مقابلة النقيب مؤيد وقال له حين دخل إليه :

إنه يقدّر إنشغاله بسبب موت عبدالله وله حديث طويل معه أجّله لما بعد دفن عبدالله وفاجأه عندما حدثه عن هدم البيوت والسكن عند عمر وموضوع تقاسم الشقق وحدثه عن الكلمة التي ألقاها وذكر له أكثر من نصفها. وهو أنه لايحب

البصل والثوم بعد الظهر وأنه .. وأنه .. وأنه .. قال مندهشاً : لا ينقصك إلا أن تعرف ماهي فصيلة دمي؟ قال ضاحكاً «B+» سأل : ونمرة حذائي؟ قال «٤٢» فما كان منه إلا وضحك ضحكة مدويّة ملأت المكان.

شربا الشاي وأجابه عن كل أسئلته بخصوص أبو رامز إذ قطع النقيب مؤيد شوطاً طويلاً في التحقيق مع أبي رامز وسيصل إلى معرفة الجهة التي كلّفته بهذه المهام واتفقا على دوام الإتصال.

....

في صباح يوم الخميس استيقظ قبل الفجر بربع ساعة وتناول قطعة من الجبن البلدي وشرب الشاي ونوى الصيام ..

صلّى الفجر وكعادته قرأ من القرآن وختم القراءة بسورة ياسين ووهب ثواب ماقرأ إلى روح والديه ثم عاد إلى النوم.

- عند الظهيرة قال : سأصلّي الظهر بالمسجد القريب من بيتي القديم لأرى ما وصل إليه المتعهد في البناء ..

....

بعد صلاة الظهر وقف بجانب العمارة ..

....

العمارة هي الآن في الطابق السابع أي بقي طابقاً واحداً وتتم العمارة إنها شامخة جميلة شكلها يريح النفس ولكن الذي يشغل البال هو التحاصص! ..

سيجد طريقة يرضي بها ربه أولاً ثم أعمامه ثانياً إنه أمر مفروض لايجب تجنبه.

....

قبل أذان المغرب بقليل ذهب إلى المطعم....

إنه نظيف وليس له نظير حيث لاتوجد مطاعم شعبية نظيفة في بعض البلاد العربية الربح والنقود عندهم أهم من النظافة والأناقة واللقمة اللذيذة .. طلب قطعة من الدجاج المشوي ثم شرب كوباً من الشاي وكان ذلك إفطاره.

....

في صباح يوم الجمعة وهو أمام باب بيته سمع صوت سالي وهي تصرخ بابنتها مريم ثم سمع مريم تبكي لم تكن سالي تتحدث بصوت عالٍ أبداً ولايسمع أحد صوتها إلا عن قرب لم تكن سالي تضرب مريم أو تعاقبها !.

إن ارتفاع حدّة صوتها جاء نتيجة لضغوط حياتية ولظروف صعبة أودت بها إلى حدة المزاج.

إنها إنسانة من لحم ودم لها قلبها وعواطفها ، لها تطلعاتها وأحلامها لقد رحل عبدالله وجاور ربه سبحانه وبقيت هنا غريبة وحيدة .

معها الحق بأن تعبّرعن ضيق في المعيشة وضيق بداخلها رغم أن عبدالله كان قد أبقى لها مبلغاً كبيراً أرسلوه له أقاربه قبل أن يشتد عليه المرض ، وهو لم يقصّر في تقديم مايستطيع.

صوت بكاء مريم يهزّ حنينه ، نادى بصوت عال : مريم .. يامريم ، صاحت بصوت عالٍ : نعم عمو الطيب. صاح هو : اسمعي كلام أمك ولا تخالفيها ثم ساد الصمت ..

- دخل غرفته واسترخى على سريره.. بعد دقائق سمع صوت طرق الباب ، الطرق من يد رجل. قام وفتح الباب وإذ به ابن عمه محمود رحّب به : أهلاً ابن

العم تفضل رد : شكراً. إن عمك يُقرؤك السلام ويقول لك يجب أن نجتمع اليوم بعد العشاء من أجل العمارة. أجاب :

قل لعمي أبا عرب جاهز اليوم بعد العشاء تفضلوا لمنزلي وستتحدث رد : لا الإجتماع في منزلنا سأبلّغ إعمامي للحضور .. قال في خلده : «إذاً سيتزعم عمي الجلسة» حسناً الذي يراه مناسباً .. ادخل واشرب الشاي رد : شكراً أنا على عجل السلام عليكم وغادر.

حدث نفسه : عليّ إذاً إستشارة إمام المسجد ..

أخذ حمام دافئ وشعر بإرتخاء في عضلاته وكاد يغفو مكانه. قام وارتدى ملابسه وتعطّر وسرّح شعره وحمد الله وخرج ولم ينسَ أخذ العقد معه.

....

دخل المسجد وصلّى.... وقرأ القرآن ريثما يحين وقت الخطبة والصلاة. صعد الإمام إلى المنبر وبدأ بالحديث ، كان يدعو إلى التعاون والتكاتف واليقظة لأن هناك أفكاراً جديدة وعقيدة دخيلة تفشّت في مجتمعنا الإسلامي .

هذه العقيدة بنيت على القتل والفتك والتدمير ليس ضد العدو الذي يسعى لقتلنا وتهجيرنا بل ضد العرب المسلمين أنفسهم ناسين قول الله تعالى في سورة الأنبياء....

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ ، وناسين حديث الرسول ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» وركّز الخطيب على الدعوة لمحاربة هذه الأفكار ومجابهة هذه العقيدة بالحجة والدليل والبرهان .

فالعقيدة الفاسدة المظلمة لا تحارب بالسيف فقط بل بالعقيدة الصحيحة

المسندة بالآيات والأحاديث الشريفة.

يجب إقناع هؤلاء بالحوار ليعودوا عن فهمهم الخاطئ وليشاركوا في الحفاظ على أمن أبناء الأمة. إن التشدد والمغالاة تؤدي إلى التناحر والتقاتل.

وعبّر في نهاية الخطبة عن ألمه وألم كل مسلم لقتل الجنود الذين يحرسون الحدود ولهدم البيوت فوق رؤوس النساء والأطفال ولقصف المدارس بالصواريخ والمدافع وأتم الخطبة بالدعاء وطلب الرحمة ورفع البلاء.

- بعد أداء الصلاة تقدم أبو عرب نحو الإمام واستشاره بموضوع العمارة فنصحه بالقرعة فالقرعة هي قسمة الله والأهم المسامحة والرضا بالمقسوم.

....

بعد خروجه من المسجد سمع صوت رنين هاتفه النقال إنه النقيب مؤيد سأله بلهفة طمئني إلى أين وصلتم؟ أجاب :

وصلنا إلى ماكنا نتوقعه أين أنت؟ رد : خرجت من المسجد وسأذهب إلى منزل صديقي عمر فأنا جائع وأحب أن أتناول طعام الغداء معه هل تريدني؟ أجاب : نعم ليس الآن بعد أن تنهي طعامك أجاب : حسناً إلى اللقاء عند المساء .. عندها طلب رقم صديقه عمر وسأله ماذا حضّر له اليوم على وجبة الغداء فردّ : تعال بسرعة فأنا في إنتظارك.

- وصل إليه فالأصناف الشعبية البسيطة هي الألذ دوماً وهما يشربان الشاي أخبره أبو عرب : أتعلم ياعمر أن أمي كانت تقول يابني لا تنظر كثيراً إلى الأمام ولا إلى الأماكن المرتفعة وكنت أقول لها كيف ذلك يا أمي ماذا تقصدين؟ فتقول:

أنظر إلى الخلف قليلاً واجعل نظرك على مقدار طولك فأقول لها : بالله عليك يا أمي اشرحي لي ما هذه الألغاز؟ فتجيب :

لو نظرت إلى الأمام كثيراً ستجد الناس أغنى منك فتحزن وتتألم على نفسك وإذا نظرت كثيراً إلى الأعلى والأرقى ستجد الناس أكثر منك نشاطاً وإنجازاً فتجلس مصاباً باليأس وتشعر بالفشل

أما إذا نظرت قليلاً إلى الناس الذين هم خلفك ستجد نفسك قد سبقتهم وأنجزت أكثر منهم فتجلس قانعاً مطمئناً مرتاحاً .. أتم عمر :

وأما إذا نظرت إلى قدر إرتفاعك ستقول : مثلي مثل الناس يعني كلنا متساوون .. فعلاً والدتك تقول الحكم. أضاف أبو عرب :

أتعلم يا صاحبي أن أبا رامز ربما يكون جزءاً من عصابة موجودة بالداخل وتتقاضى الأموال الكثيرة مقابل أفعال تؤدي إلى خراب البلد. سأل : مازال التحقيق مستمرا؟ أجاب : نعم حتى يصلوا إلى معرفة الدولة التي تساعدهم وتجنّدهم.

....

بعد المغرب وصل إلى مكتب النقيب مؤيد استقبله وشكره على مساعدته في الحفاظ على أمن المواطن مسلماً أكان أم نصرانياً وأعلمه أن الملف كله سيتحوّل إلى أمن الدولة ومنه إلى الأمن الخارجي ثم خرج من المكتب.

....

ركب في عربة نقل صغيرة ليصل إلى المسجد القريب من منزل عمه أبي محمود حيث سيصلّي العشاء فيه ومن ثم يشترك في جلسة مغلقة وياليتها لاتكون مقفلة أو فاشلة. قال في نفسه : علينا الاتفاق.. صلّى العشاء وتوجّه نحو منزل عمه .

....

عند الباب تأمل الأحذية الكثيرة فهي متنوعة القياسات منها لم ينظف منذ أسبوع ومنها من زار مصلّح الأحذية أربع مرات ويوجد حذاء نظيف واحد يلمع من بعيد توقع أن يكون لمحامي دعاه أحدهم.

أما الذي لفت نظره أنه شاهد حذاء فردته الأولى مرميّة يميناً وفردته الثانية مرميّة شمالاً. قال : هذا حذاء عمي أبو ياسين فمن شدة لهفته للنقاش أسرع في الدخول فرمى بحذائه يميناً وشمالاً ..

أصواتهم في الداخل كدبيب النمل يفهمون على بعضهم لكنك لاتفهم عليهم لكنَ النملَ متفقون فيما بينهم أما أعمامي ....

إنها من أصعب المهام أمامه قال : اللهم أعنّي وساعدني طرق الباب بهدوء فسمع أحدهم يقول : هذا أبو عرب ثم سمع صوت عمه أبي محمود يصيح : ادخل يا أبا عرب فدخل سلّم مبتسماً وجلس مكان وقوفه فسمع أحدهم يقول : تفضل إلى هنا. قال آخر : هناك أفضل له فأشار عمه أبو محمود :

تعال إلى جانبي يا أبا عرب أدرك أنه يريد أن يجاوره ليشد من أزره .. جلس بجانبه وتبادلا عبارات الاطمئنان ثم ساد الصمت .

كل الحاضرين قلوبهم تخفق وشهيتهم مفتوحة لنيل أكبر كميّة من المكاسب وأجودها.

التفت إليه عمه وسأله : أتشرب الشاي؟ تعجب من سؤال عمه! أيفكر بالشاي في هذه الظروف الحالكة فأجابه : نعم فنادى: يا محمود قل لهم يجهّزوا الشاي .. الكل رؤوسهم إلى الأسفل لكن عيونهم كالرادارات تراقب في حركة ثعلبية قال له عمه : ابدأ بالكلام يا أستاذ أبا عرب انتبه لكلمة أستاذ وعندما دخل قال: يا أبا عرب بدون أستاذ ..

تنحنح قليلاً وقال بحركة احتيالية أيضاً : كيف حالكم؟ لم يرد أحد ثم سأل : الشاي جاهز؟ قال محمود : خمس دقائق .. ثم ساد الصمت.

أضاف عمه أبو محمود تكلم يا أبا عرب فقال : أيها الأخوة والأعمام والأقارب لا ينقصني شيء من حُسن الكلام في مواضع كثيرة ولكن أمامكم الآن أشعر بالإرتباك ذلك نابع من كثرة الكلام الذي يجول في رأسي وحرصي على أن نلبّي حقوق بعضنا البعض بما يرضي الله أولاً ثم يرضينا ثانياً ..

لو تذكرنا الفترة التي عاشها أجدادنا وآباؤنا الآن سنجدها عدد سنين أو أرقام ثم ذهبوا ماتوا الآن هم تحت التراب بين الديدان لم يحملوا معهم إلا الأعمال الصالحة أو الطالحة لكن الذي بقي هو نحن الأبناء وباقون لفترة مؤقتة فقط.

الذي أريد أن أصل إليه هو أنه علينا الآن أن نضع في نفوسنا قضية المسامحة مع بعضنا البعض من البداية.

نحن أهل وأولاد عم وأخوة هذه العلاقة أقوى من المال بكثير. جاهزون؟ لم يرد أحد .. ساد الصمت. ثم كرر : جاهزون؟ لم يرد أحد.

نظر إلى عمه أبي محمود وسأله : ألم تطلب مني أن أتحدث!.. هل أخطأت؟ أجاب مسرعاً : آه .. لا لا بل تكلمت الصواب. أضاف عمه أبو ياسين : المهم الآن كيف سيتم توزيع الحصص؟

تدخّل عمه أبو هاني : أنا أخذت قطعة أرض لاتصل إليها الماء وغيري حصل على بستان واسع وقلتم لي حينها ستعوضون لي قلّة حصتي. الآن أريد شقة مطلة على الشارع ..

اشترط أبو ياسين : حصتي أنا أريدها في الوسط إذا سمحتم. فاعترض أبو

محمود : هذا لايجوز يجب أن نحفظ قَدرَ بعضنا البعض فأنا الكبير وحصتي هي المطلّة على الحديقة وكل من يرغب بالنظر إلى الحديقة فليتفضل إلى منزلي .

تمتموا جميعاً فأضاف : على كل حال دعونا نسمع الأستاذ أبا عرب ماذا يقول؟ زادت التمتمات فأتم :

اصمتوا لو سمحتم.

تلفّت أبو عرب حوله فوجد العيون كلها متجهة نحوه فقال بشيء من الحنكة : لماذا تأخر الشاي؟ فنظروا إلى عمه أبي محمود فرد أبو محمود : قم يامحمود واستعجل الشاي فقام .. أتم أبو عرب :

اسمعوني نحن لنا نصف العمارة ولمحمد حامد النصف الآخر أي أن حصتنا هي ستة عشرة شقة فقط. نحن أربعة أنا وعمي أبو ياسين وعمي أبو هاني وعمي أبو محمود أي أن نصيب كل منا من الشقق هو أربعة .

أنا أرى أن نبدأ طابقاً تلو الآخر فنكتب أسماءنا نحن الأربعة ونطوي الأوراق ونقترع ونجمعها في إناء زجاجي ونقول: الشقة الأولى في الطابق الأول ورقمها كذا لمن هي؟ نختار ورقة من بين الأوراق وعلى صاحب الشقة القبول بما قسم الله له ثم ننتقل إلى الطابق الثاني ونقول : الشقة ذات الرقم كذا لمن؟ ونختار ورقة وهكذا وكما قلت الرضا والتسامح هما الأساس. هاتوا أوراق وقلم ....

قام محمود وأحضر بعض الأوراق وقلم.... وبدأوا يقسّمون الأوراق وتمت عملية القرعة دون شجار ثم صمتوا جميعاً. وقف أبو عرب متلفتاً حوله ثم سأل : لماذا تأخر الشاي؟ فضحكوا جميعا.

....

-أثناء عودته إلى المنزل شاهد بائع ألعاب أطفال.

اشترى حمامة تخفق بجناحيها عند كبس الزر ثم تابع سيره وقال في خلده :

يا ترى ماذا تنتظر سالي! عندما حضر إخوتها للعزاء أشاروا عليها بالانتقال إلى البلد لكنها أصرّت أن تبقى هنا. الحمد لله أتعامل معها كما يملي علي ديني وضميري وأظهر لها حبي للنبي عيسى بن مريم عليه السلام.

ثم استرسل بالتمعّن فزم شفتيه وهزّ رأسه متعجباً وقال : أنا ماذا أنتظر!... يجب عليّ إيجاد الفتاة الجميلة والتي أرضى سلوكها ..

ها قد تجاوزت الأربعين وغزا الملح فلفل شعري أملك الآن أموالاً كثيرةً أستطيع تحمل أعباء إكساء الشقق وشراء متطلبات الزواج كلها إذاً ماذا أنتظر؟!

وصل إلى بيته ونظر إلى نوافذ بيت عبدالله مازال النور يسطع لم يناما ..

- دخل البيت .. بدّل ملابسه تأمل الورقة الخاصة ... شققه وأرقامها قال في نفسه : أنا جائع سمع وقع أقدام .. أدرك مباشرة أنها أقدام مريم فهو يميّز أقدامها من بين عدة فتيات سمع طرق الباب فتح القفل وصاح : ادفعي الباب وادخلي يامريم. سألت مداعبة :

أأدخل؟ أجاب : نعم ادخلي أضافت : ها أنا أستأذن صاحب البيت بالدخول. رد : وقد سمحت لكِ.

دخلت ومعها طبق قالت : السلام عليكم. رد : وعليكم السلام ماهذا المساء المنعش. شكرته وقدمت له الطبق .. إنه دجاج مع البطاطس قال : كم رائحتها شهيّة. أضافت وطعمها لذيذ أضاف هو : وشكلها جميل كما هو شكل هذه الحمامة انتظري.... وقدّم لها الحمامة .. هكذا تعمل.... حملتها وقالت : كم هي

جميلة تخفق بجناحيها هكذا .. فقفزت فرحة وأكملت :

شكراً لك ياعمّاه هل تريد شيئاً إني ذاهبة؟ رد : لايامريم أخبري أمك بأن هذا الطبق لذيذ ، شكراً لكِ مع السلامة. وخرجت فقال : سبحان الله منذ دقيقة كنت أقول أنا جائع .. تذكّر الآية (٥) من سورة المائدة ﴿ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ وبدأ بالطعام.

....

في صباح اليوم التالي شعر بالراحة التامة فقد أمضى نهاره وقد أنجز إنجازاتٍ ناجحة .. الآن عليه إعلام صديقه عمر بما حدث. حمل الأوراق ليريها لعمر وخرج.

وصل إلى باب بيته ، نادى عمر. فرد : ادخل يا أبا عرب .. ودخل فسأله عن جلسته البارحة؟ لأنه يعلم ماجرى في الجلسات السابقة طمأنه وقال : أنا أملك أربع شقق اثنان منهم بجانب بعضهما. سأل : كيف؟ لايصح .. مَن يظهر اسمه يحذف من الورقة. أجاب : نعم ، ولكني تبادلت مع ابن عمي ياسين الذي له شقة في الطابق الخامس وبذلك أخذت شقتين بجانب بعضهما. رد : الله موزع الأرزاق ويعلم ماتخفي أنفسكم وماتعلنون .. قال : (من نياتكم ترزقون).. بقي عند عمر ساعة ثم خرج ..

مضت عدة أيام .. بدأ يفكر بإكساء الشقتين أولاً .. حتى جاء يوم الخميس.

- يوم الخميس وحوالي الساعة العاشرة قال في نفسه : يجب عليّ الذهاب إلى المقبرة كي أزور قبر والدي .. خرج من منزله ورأى دون قصد سالي تكنس الأرض أمام باب بيتها فأصدر صوت سعال قوي حتى تعلم هي أنه يراها .

كانت ملابسها محتشمة وحركاتها هادئة. حياها : السلام عليكم ردت وعليكم السلام سألها : كيف حالك ياسالي؟ ردت : بخير والحمد لله. أضاف : سالي سامحيني على هذا السؤال .. ردت : تفضل .

سألها: أليست زيارة القبور عندكم مستحبّة؟ أجابت : أعتقد لكني لست متأكدة سأسأل أمنا عن هذا الأمر / تقصد المسؤولة عن الكنيسة/ .. أضاف : إذا أردت الذهاب إلى المقبرة سأطلب لك سيارة ستنقلك إلى هناك وتنتظرك حتى تعودين. أجابت : لا أعلم كيف أشكرك.

مرّت نسمة هواء على شعرها فصفعت وجهها وقذفت شعرها إلى عينيها فقالت: آه .. أسرع وقال لها : سلامتك من الـ... ولم يكمل عرفت هي أنه لا يتلفظ بأي كلام يخدش الحياء فنصحها : ادخلي وتداري من الهواء وانتبه إلى إحمرار لون وجنتيها واختلجت مشاعره ففضل الذهاب فوراً ولم يلتفت ولم يسمع صوت إغلاق الباب هل مازالت تنظر إليه أم لا .. إن سالي من أكثر النساء خجلاً وطيبةً وأدباً.

....

ماهي إلا نصف ساعة حتى وصل إلى المقبرة ومعه نبات الصبار وهو نبات تبقى أوراقه خضراء لفترة طويلة وطالما هي خضراء إذاً تسبّح الله عزّ وجلّ فيخفف الله رحمته العذاب لمن في القبر إن كان يتعذّب .. سلّم على حارس المقبرة ووضع الصبار عند الشاهدة شعر أنه مندفع لمخاطبة والده في قبره حياه :

السلام عليكم يا أبي ورحمة الله وبركاته رحمك الله يا أبي أنت سبقتني إلى عالم القبور وأجهّز نفسي لنزول هذا المنزل قدر الإمكان أفعل ما أستطيع لأكون أحد نزلاء القبر أرجو من الله أن يجعلني من الصالحين وأدعو لك وأرجو من ربي أن يغفر لك ويسامحك ويعفو عنك أنت يا أبي كنت تقرأ سورة ياسين كل يوم وتهب

ثواب القراءة لروح والديك وها أنا ذا أقرأ من القرآن كل يوم صباحاً وأخصّ سورة ياسين وأهب ثواب القراءة لروحك أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يجعل الثواب في صحيفتك.

وبينما هو يحدث روح والده سمع صوت الحارس يمر من جانبه فخاطبه : لو سمحت أرجو أن تعتني بهذه النبتة وتبدلها إن ذبلت أريد أن يبقى النبات أخضراً دائماً ولم يقصّر في إكرامه وخرج وهو يحس أن هذه الدنيا فانية رحلة محدودة دنيا مطامع وتسابق على المكاسب.

....

مشى في الشارع وهو يفكّر بواقعه عليه إنجاز ما تأخّر به وخاصّة أمر الزواج يريد أن يختار شريكة لحياته وبأقصى سرعة يريد تأسيس أسرة تفيد المجتمع .. الزواج يجب أن يكون بهدف تأسيس الأسرة الصالحة لا رغبة في التلذذ بالجمال ولا للمتعة الليلية ولا لحَسب أو لنَسب فحسب وإنما لتكوين خليّة اجتماعية تتفاعل مع الآخرين لنمو الأمة الإسلامية ولبناء الوطن.

أين هي العروس؟ مَن هي صاحبة الحظّ التعيس أم .. أم السعيد .. الله أعلم .. بينما كان يفكر ويشجّع نفسه قابله أبو أميرة وهو متعهّد مقاول بناء جامله بحرارة: الأستاذ أبو عرب نفسه؟ الحمد لله الذي أكرمني برؤيتك كيف حالك؟

قال : شكراً لهذا الترحيب كيف حالك أنت؟ أجاب : ألف الحمد لله بنعم لا تعدّ ولا تحصى والفضل لله. عمارة مباركة رد : بارك الله بك أضاف : عرَفت أنكم ستقومون بإكساء الشقق فوراً. أجاب : نعم وأنا أفكر بك لأنني أعرف إكسائك وكنت أنوي الذهاب إليك أتذهب معي الآن كي ترى الشقق .. أجاب : نعم تفضل.

....

-وصلا إلى العمارة بينما كانا يصعدان على الدرج قال له: تعال حتى ترى هاتين الشقتين أريدهما شقة واحدة افتحهما على بعضهما واجعل لهما مطبخ واحد وحمّام واحد .. اليوم بعد العشاء مرّ على بيتي المؤقت بجانب منزل صديقي عمر حتى أعطيك مبلغاً من المال كدفعة أولى لتبدأ العمل. وتحدّثا ببعض التفاصيل وذهب.

....

أثناء عودته اشترى طبقاً من البيض البلدي والسمن العربي ويسمونه الفلاحي فنفسه تشتهي البيض المقلي بالسمن العربي .

قبل أن يفتح باب بيته خطر بباله أن سالي ستشم رائحة البيض وستشتهي هي أيضاً إذاً عليه تقديم نصف الطبق لها واقترب من باب المنزل وطرق الباب لم تسأل سالي مَن الطارق بل قالت : دقيقة واحدة ثم فتحت وبقيت في الداخل ووقفت جانباً. قال : السلام عليكم ردت السلام سأل : كيف حالكم؟ أتمنى أن تكونوا بخير. قالت : الحمد لله وأنت يا أبا الطيّب هل أمورك بخير؟

قال : نعم. اندهش لأنها لم تسأله هذا السؤال من قبل وإن كان سؤالها عادياً ثم قالت وأحوالك وظروف حياتك كلها على مايرام؟ استغرب أكثر لا لشيء وإنما لم تسأله هذه الأسئلة من قبل.

قال : ليست كلها على مايرام ولكن نحقق ما نستطيع تحقيقه ويبقى ما لا نستطيع تحقيقه نؤجله إلى وقت آخر.

حاول أن يتذكّر ماكان سيقوله لها ، صمت لبرهة ثم تذكّر وقال : سالي تم توزيع الحصص بيننا أنا وأعمامي في العمارة ونصيبي أربع شقق. قالت : مباركين الحمد لله فطلّت برأسها فقط وبقي جسمها خلف الباب كان وجهها أجمل من قبل عيناها صافيتان وقد امتزج شدة بياضهما مع شدة سوادهما لكنهما لامعتان. خداها

مابين الزهر والأبيض شفتاها حمراوتان ملونتان وهما لامعتان من ريقها إنهما كشفاه عبلة عشيقة عنترة وهما اللتان قال بهما عنترة «فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسِّم» .

قال : أنت تعلمين أني حاولت أن أحصّل لكم ولو شقة واحدة كونكم مستأجرون في المحضر منذ أكثر من عشرين عاماً هكذا إنسانياً لكنهم رفضوا جميعاً والآن وبعد أن أصبح لكل منّا حصته فسوف أخصص شقة لك وسأقوم بإكسائها لتسكني بها أنت ومريم.

ردّت : نعم وأشكرك أبو الطيب كل الشكر. أضاف : لا... اشكري الله سبحانه وتعالى الذي يسيّر كل الأمور حتى وصلنا إلى هذا الاتفاق. قالت : الشكر لله.

لو سمحت حدد لي مبلغاً من المال حتى أؤمّنه لك كل شهر. نظر إليها منبهاً : لا أريد أن أسمع منك هذا الكلام ! فاحمرّت وجنتاها أكثر وأضافت : أليس من حقك؟

ردّ : نعم من حقي وعندما أطلب منك تعطيني .. أين مريم؟ أشارت تلهو بلعبها ...

حدّث نفسه: اللهم امنحني القوّة حتى أقول ما يدور بخاطري. همهم : أريد أن .. أن أقول .. استغربت : ماذا تريد أن تقول؟ رد : أريد أن أسأل .. أسأل.. سألت هي : ماذا تريد أن تسأل؟ أضاف : لو أن أحداً أراد أن .. أن .. تعجّبت :

قل يا أبا الطيب ثم تراجع وغيّر مسار حواره أتم : أريد أن أسأل: إذا أراد الرجل أن يقلي .. خذي أولاً نصف هذا البيض فنظرت إليه نظرة تخبره بها أنها عرفت أنه يريد التحدث بموضوع أخر وتراجع. أكمل : حسبت حسابكم بنصف هذا الطبق ونصف هذه السمنة تفضلي لو سمحتي أخذت الطبق منه وهي غير راضية وقالت: عندي سمنة لذيذة قال : لا.... تذوقي هذه السمنة فنكهتها كالزبدة

لذيذة أيضاً. أخذتها منه .

....

ودخلت وهي تخمّن ما الذي يقصده عندما قال نصف الطبق لك ونصف السمنة لك لماذا لا يقدم الطبق والعلبة كلها «هل يفهمني أني أشكل نصفه الآخر هو ذكي ويلمّح بما يقصد تلميح من المؤكد أنه يقصد شيئاً ما بعملية النصف هذه» .

....

وهو بدوره أخذ يراجع نفسه فسأل نفسه: هل أخطأت بشيء؟ لكنه تردد في كل شيء بل ضاعت منه التعابير كلها إنه يرتبك تماماً عندما تنصت إليه حين يتحدث فهو يختار الكلمات المحددة والمختارة بعناية ..

عادت ومعها الطبق والعلبة قالت : تفضل أخذت النصف منهما قال : حسناً .. تعلمين ياسالي فكّرت بالكلام الدارج بيننا أقصد شعبياً فهم يقولون للذي يريد أن يتزوج الآن ستكمل نصف دينك ماذا يقصدون؟ نظرت سالي إليه نظرة استغراب ثم صمتت وبقيت جامدة قال : هه؟.. ردت : قل أنت

أكمل : لأن الزواج ينظّم الوقت ويضبط الانفعالات ويهدّئ النفوس وإذا ساد التفاهم والوئام بين الزوجين تكون هناك سعادة كبيرة فتتأسس أسرة متعلمة تساهم في عمل الخير ونشر المعروف في المجتمع ويرفع من شأن البلد مستقبلاً. سكت وبقيت هي صامتة تريّث وقال في خلده :

لماذا أشرح لها؟ هي أصلاً لم تسألنِ عن شيء ماذا أقول الآن ! نظر إلى السماء وقال : ساعدني ياربي نظرت إليه من رأسه حتى أقدامه وقالت : فقط؟ تفاجأ تماما بهذه الملاحظة وهذه الكلمة ذات الثلاث أحرف كانت كالرعد على مسمعه فاندفع

ليجيب لكنه لم يتمكّن من نطق جملة كاملة بل لفظ: أ.. هناك أمور كثيرة جداً سألت: مثل ماذا؟..

وهذا سؤال لم يحسب حسابه بقي محتاراً فقال في خلده : ماذا أقول! .. يا إلهي أخرستني ... أنا الذي أتحدث أمام العشرات وخلف مكبرات الصوت لا أجد لنفسي مخرجاً من الإحراج !.

أحست سالي بإحراجه وضيقه فهي تعرف مافي عقله وفي قلبه فقررت أن تريح أعصابه وتخفف من توتره فسألت سؤالاً عاماً : ما رأيك بشباب وفتيات هذه الأيام؟ أقصد طريقة التعارف وطريقة الاختيار فقاطعها ليدخل في الإجابة ويُظهر لها أنه خرج من تردده :

لاشك أن الرجل أو الشباب عندما يفكر بالزواج يبحث عن فتاة أحلامه ويختار التي تناسبه بالنسبة لطريقة تفكيرها وسلوكها وعندما يجدها يسعى لأن تكون له فيتقدم ليطلبها وعندما تتلاقى نفس الرغبة عندها يتم الاتفاق وتتم الخطوبة وهي فترة للتعارف أكثر ويحضرها إلى منزله و... فقاطعته وهي مبتسمة وتكاد تكون تقلّده بطريقة حديثه :

أرجو من الله سبحانه أن يهيء لك الفتاة التي تستحقها لتكمل نصف دينك .. تأملها لثوان وقال : إن شاء الله أ .. هل .. هل تريدين شيئاً؟ قالت : جزاك الله كل خير ابتعد وقال :

السلام عليكم ردت السلام غادر وكانت سرعته في المشي أكبر من مشيته العادية فتعثّر وكاد الطبق يفلت من يده فاستدرك ثم نظر إليها فرآها مبتسمة متعجبة.

....

دخل بيته لاهثاً متعباً وكأنه جَهِدَ في عمل ما. حدّث نفسه إنني نصف جبان. ألأني لم أتحدث معها سابقاً بهذه المواضيع؟ .. أم .. أم لأنها زوجة صديقي المرحوم؟ لا.... السبب لأنني لم أحدّثها سابقاً بهذه الجديّة ..

اقترب من المرآة ونظر إلى نفسه قل الحقيقة الساطعة يا أبا عرب ألفظها على لسانك قل .. قل .. نعم إنها هي التي أرغب أن تكون زوجة لي ... ثم تنهد بعمق ..

توجه إلى النافذة ونظر إلى بيتها .. مات زوجها منذ شهور وهي تعيش لوحدها في هذه المدينة الموحشة ترعى ابنتها إنها امرأة شريفة طاهرة. الأهم أنها مؤمنة بالله تعالى وتحترم رسوله الكريم محمد .. فهي وفيّة لزوجها ولبيتها محتشمة في لباسها وقد شاهد عندها كتاب بعنوان السنة النبوية وقلبها مؤمن بالله وبـ.. ما يدريني أنها ... نعم أنا واثق.

استدار ونظر إلى السقف ثم اقترب من المرآة ونظر إلى نفسه ثانية وخاطب نفسه : كن شجاعاً ومقداماً .. حدد إتجاه عواطفك فالله عز وجلّ هيّأ لك كل شيء.

عاد إلى النافذة ونظر إلى بيتها هي من أهل الكتاب هي تقيّة وذكر من سورة آل عمران : ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ صدق الله العظيم.

اتجه نحو الباب ووضع يده عند القفل وقال : اللهم إن كانت هذه المرأة خير لي ولمعيشتي قرّبها مني وقربني منها بما يرضيك. فتح الباب واندفع نحو باب بيتها.

....

طرق الباب فقالت من الداخل :

دقيقة.... هي أحست أنه هو .

فتحت الباب وبقيت في الداخل قال بسرعة : سالي. أتقبلين بي زوجاً؟ ...

طلّت برأسها بهدوء وعلائم الاستغراب على وجهها وكأنها تقول: أعدها مرّة ثانية تأملته صامتة ثم ابتسمت ابتسامة خفيفة ثم أخفتها ثم أخفضت رأسها قال : تكلمي يا سالي ... لم ترد.... سألها : ما قولك؟

رأى الدمعة تزرق من عينيها فأدرك أنه قسى عليها بسؤاله هذا لقد خدش حياءها اختلطت الأفكار برأسها لا يمكنها أن تقول موافقة بهذه السرعة ولا تريد الرفض

بقي يتأملها ثم يخفض رأسه هو وكأنه يقول لها سأنتظرك حتى تجيبين.

استدرك قساوة الموقف عليها قال : سالي رتبي أفكارك بهدوء وقرري براحتك أنا أحببتك وأطلبك على سنة الله فالله سبحانه وتعالى أباح لنا الزواج إذا أردت أن تبقي على الدين النصراني أنت حرّة ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ أنا أعرف تماماً أنك تحترمين وتحبين النبي محمد ﷺ أجيبيني وقت تشائين ..

تركها وغادر سمع حركتها وهي تخطو مسرعة فابتسم مسروراً فقد خمّن أنها فرحة فرحاً كبيراً فأسرعت الخطى .. دخل إلى بيته .

....

ألقى نفسه على سريره ومدّ قدميه وذراعيه نظر إلى طبق البيض ثم قام منتفضاً.

....

خرج من بيته مبتسماً يحب أن يتحدث مع الناس ويشرب الشاي في المقهى. وصل وتأمل وجوه الجالسين لعلّه يعرف أحدهم فلم يجد أحد منهم فجلس جانباً لأنه لا يحب الجلوس في المنتصف كي لا يشعر أنه مُراقب .

حضر النادل وطلب قهوة لعلّه يتعمّق في التفكير والتمعّن .. دخل ماسح الأحذية وسأله عن رغبته في مسح حذائه فوافق وبدأ عمله....

بعدها بقليل جاء بائع الصحف وهو يذكر ما بداخلها من حوادث وجرائم قتل ونهب وفضائح هنا تساءل ما إذا كان عرض جرائم الإغتصاب في الصحف مع الصور والأسماء حلال أم حرام؟ وهل يمكن الإفتاء بهذا الأمر أم لا ..

جاء بائع صحف آخر لكنه سياسي يقصد أن هذا يذكر فقط نشاطات زعيم الدولة ودوّي تصريحات الوزير اللامع وهو ينادي الوطن .. الوطن فقال في نفسه: آه يا وطن العرب كم يتاجرون بك.

آه يا وطن العروبة كم كسّروا يديك وحرقوا أصابعك.

آه يا وطن الأسياد كم قسّموك ليطمسوا ملامحك في النهاية.

قال البائع له : هل تشتري الوطن؟ أجابه : الوطن في عقلي وفي قلبي أنا فيه ومنه.

اعتقد أنه مهلوس فأوضح له : أنت يا عم أتشتري مني الوطن فسأله :

كم ثمنها؟ أجابه : إثنان فقط قال له : خذ هذان اثنان وهات الصحيفة ولا تقول اشتري الوطن بل قل اشتري الصحيفة اذهب وقل كما قلت لك.

- دخل بعده بائع البخور -قال أبو عرب في نفسه: ما هذا كأنهم متفقون أخرج أنا تدخل أنت- حاملاً بيده عود يشتعل وهو يصيح صلّوا على النبي .. أخرجوا الجن من منازلكم وحّدوا الله وصلّوا على النبي وكررها وأخذ يلم ما يعطونه من النقود إن المقصود من هذا المشهد هو الربح المادي فقط فلو لم يعطونه شيء لما دخل .. اقترب شاب في الثلاثين من عمره ويبدو أنه غريب عن المنطقة سأل رجلاً سؤالاً فأشار بالنفي ثم سأل رجلاً بالقرب منه:

هل تعرف رجلاً يسمى الأستاذ أبا عرب؟ فقال : آسف لا أعرفه فتعجّب ! هذا الرجل يسأل عنه .. والجالسان لا يعرفانه. ثم وصل إليه قال :

السلام «لم يكملها» قال وعليكم السلام ورحمة الله فسأله: هل تعرف منزل

الأستاذ أبي عرب؟ قال : أتريد أبا عرب أم منزل أبي عرب؟ أجاب:

منزل أبي عرب فردّ : أعرفه قال : دُلّني عليه فقال له :

تفضل اجلس لترتاح قليلاً فجلس أشار أبو عرب للنادل وطلب له كأس من الشاي .. سأله : لو رأيت أبا عرب هذا هل تعرفه؟ أجاب : لا وإنما قريبتي تسكن بالقرب من بيته وعن طريقه أصل إلى قريبتي فأدرك مباشرةً أنه قريب سالي ويبحث عنها «جفّ ريقه في فمه» ....

صمت قليلاً وتأمله من رأسه حتى قدميه ليختار السؤال المناسب...

وصل النادل وقدم الشاي والقهوة وابتعد. سأله : ماهي الحاجة التي تريدها عندما تشاهد قريبتك؟ أجابه :

أنا أعرفها منذ أن كنا صغاراً وهناك قرابة تجمع بيننا وهي تعرفني علمتُ أن زوجها قد توفي منذ بضعة أشهر وأحببت أن أراها فأسرع بالسؤال : وبعد ذلك؟ أجاب :

سأحدثها أسرع بالسؤال : وبعد ذلك؟ أجاب : أطرح عليها الزواج نظر إليه مندهشاً كان يتحدث بهدوء وبرودة أعصاب وثقة بالنفس ذكر في نفسه :

إنه خصمي كان يعرفها منذ الصغر والآن عندما علم أن زوجها مات جاء ليطلبها إذاً كان يحبها وهي صغيرة أما أنا فأحبها وهي كبيرة بين حبي وحبه عشرون سنة لكنه م .. متهّور ومجازف .. على أي حال لم يقل أنها كانت تحبه .. يجب أن أهدّئ انفعالي وأتابع عمق أسئلتي قال له :

هل توافق هي على عرضك هذا؟ أقصد .. تقول لمجرد أنك تعرفها أيام الصغر وأنت أحببتها وهي لم تبادلك الحب؟ قال : أجرّب .. قال في نفسه :

أنا واثق أن سالي لن توافق .. ثم سأله عن اسمه أجاب سمسم قال متعجباً : اسمك سمسم؟ ابتسم وقال اسمي أسامة مراد منير ولكننا هنا في أغلب المدن

نبدّل الأسماء لنختصرها.

قال : هي بدعة من البدع ليس لها أصول في الـ.. ثم سكت وقـال : عـن إذنـك لحظات قام وابتعد عنه حمل جواله وطلب رقم سالي قال :

سالي السلام عليكم .. اسمعيني جيداً يوجد في السوق شاب يسأل عـن اسـمي ليعرف مني أين بيتك قالت : بيتي أنا؟ أجاب : نعم حضر من البلد ليقابلك قاطعته متعجبة : ليقابلني ولماذا يقابلني ! أجاب يقول اسمه سمسم أو أسـامة مـراد منيـر قالت بسرعة :

لا أعرف أحد بهذا الاسم قال ساخراً : هو يقول انه يعرفك من حـوالي عشـرين سنة قالت : عشرون سنة وماذا يريد؟ أجاب :

اسمعيني جيداً يجب عليّ إعلامك ولا أخفي عنك شيء هو يقول أنـه سـيطرح عليك مشروع زواج فانفعلت قائلة وبصوت عالٍ :

ما هذا الهراء الذي يقوله! هل هو مجنون كيف يفكر بذلك؟ أتم مبتسـماً : هـو الآن يشرب الشاي وينتظر مني أن أرشده إلى بيتك قالت مسرعة :

لا يا أبا الطيب اصّرفه اصّرفه أرجوك إنني لا أنتظر قدوم أحد من البلد ليطلبني ليس هو ولا حتى غيره.

فسُر كثيراً لما سمعه منها .. ثم أردفت : أبا الطيب .. أبا الطيب أين أنت؟

رد : ها أنذا أسمعك أسمعك تفضلي. أتمت : هذه تفاهة منه تصرّف بطريقتـك أجاب : سأفعل وعاد إلى كرسيه وقال :

يا سيد سمسم الرجل الذي تسأل عنـه هـو الـذي يجلـس أمامـك –لم يفهـم– كررها مرّة ثانية لكنه لم يدرك بل سأله : أتعرف أبا عرب؟ أجابه : نعـم أنـا هـو ثـم سأله ببلاهة أكبر : أبا عرب أبا عرب أبحث عنه أجابه :

يا هذا تأملني جيداً أنا الذي تبحث عنه أنا نفسي أبو عرب فسأل : والأستاذ أبو عرب هو أنت أيضاً؟ رد ساخراً : نعم تصوّر يا رجل ما هذه الصدفة وضحكا معاً ثم استرسل وأضاف : يا سيد أسامة أنت ذكي وتفهم بسرعة كبيرة وتستوعب الكلام اسمعني وتمعّن بكلامي .. سالي لا تريد الزواج ولا تحب مقابلة أحد كان يعرفها منذ الصغر سأله : كيف عرفت أنني أبحث عن سالي؟

أجابه : عرفت من العصفورة .. اشرب الشاي وعد إلى بيتك وابحث هناك عن زوجة جميلة مثلك تتفاهم معك. قال : ولكني .. فقاطعه وقال: الناس تنقلب عواطفها بين لحظة وأخرى وأنت تذكر إعجاباً عمره عشرين سنة بقي الرجل يتأمله فتركه أبا عرب وقام وابتعد.

....

اقترب من باب بيته فسمع صوت مريم تناديه : عمو الطيب عمو الطيب سألها : ما بك يا مريم أجابت والدموع بعينيها : أمي وقعت وجرحت قدمها الـ.... الدم .. الدم ينزل دم كثير فركض مع مريم .

ودخل إلى البيت وهو ينادي: سالي .. سالي ردت بصوت ضعيف: أنا هنا هي جالسة على الأرض والدم يسيل من فخذها وصل لاهثاً فزعاً قال: سالي ما بك؟ نظر إلى جسمها فوجد الدم يسيل من فوق الركبة وامتلأ ثوبها به

سألها بلهفة: أهو جرح عميق؟ ردت : نعم. سألها : أيؤلمك؟ أجابت : أجل فتدخّلت مريم : وقع إبريق الماء من يدي وانكسر وأصابت إحدى القطع فخذها قال : جهزّي نفسك وسأذهب لإحضار سيارة لتنقلك إلى المشفى وهمّ بالخروج فنادته : لا لا تذهب سيتوقف النزيف الآن لا لا أحب دخول المشفى قالت مريم : سيعتنون بالجرح هناك المشفى أفضل قالت سالي :

رحم الله أبيك مِن بعدِهِ كرهت المستشفيات قال أبو عرب: الإسراع بإيقاف

النزيف هو الأهم الآن ضمّديه بقطعة قماش نظيفة ريّثما أعـود .. وخـرج دون أن يسمع منها الرد.

....

-بعد عشر دقائق وصل إلى إحدى الصيدليات التي تديرها فتـاة وسـبق لهـا أن ضمّدت جرحاً لخالته وهي تعرفه ذكر لها الحادث فحملت حقيبتها وخرجت معه وعادا بنفس السيارة .. وصلا إلى منزل سالي دخلا وبقيت السيارة تنتظر .

....

نادى سالي .. سالي قالت : نعم. أخبرها : أحضرت الطبيبة لتربط جرحك وتعالجه وسأذهب إلى بيتي ريثما تنتهي أخبريني يامريم ها .. السلام عليكم وخرج.

....

-دخل بيته قلقاً على سالي قال في خلده : سبحان الله قبل أقل مـن نصـف سـاعة أخبرتها بمن جاء لخطبتها والآن جرحها ينزف هل وقع إبريق الزجاج من يد مـريم كما تقول؟.... أم اصطدمت سالي بشيء حاد مسـنن مـن شـدة إنشـغال تفكيرهـا بالخبر؟ .. ثم هزّ رأسه بالنفي وأتم :

لا... سالي لا تخفي عني شيء ومريم لا تكذب عليّ .. حمل جواله وطلـب مـن الجزار أن يرسل وجبة من اللحم وبعض المقبلات إلى بيته الجديد وأعطاه العنوان المفصّل ماهي إلا دقائق حتى سمع صوت مريم .

فقام وفتح فوجد الطبيبة ومعهـا مـريم أعطـى الطبيبـة حقهـا والسـائق أجرتـه وغادرا.

....

عاد إلى منزل سالي ووقف عند الباب ونادى سالي .. سـالي أنـا عنـد البـاب لـن

أدخل طمئنيني عنك؟ قالت من غرفتها : أنا بخير وتوقف النزيف قال : الحمـد لله سيصلك الآن طعام الغداء ناضجاً أريحي نفسك أنا ذاهب السلام عليكم.

....

دخل غرفته وهو بغاية السعادة لأنه استطاع إسعافها وهي التـي اسـتجارت بـه ولأنه أدى واجبه اتجاهها وقدم المطلـوب منـه تقديمـه وقبـل كـل هـذا لسـماعه كلمات أول مرّة يسمعها من سالي عندما حضر سمسم هذا قالت له:

اصرفه. اصرفه أرجـوك أول مـرّة يسـمع منهـا كلمـة أرجـوك ثـم اسـتغرق في التحليل لماذا لم تقل أحضره وتعال معه كونه أتى من مكان بعيد؟ فإمـا أن نتفـق أو نختلف بل هي قالت تصرّف بطريقتك.

هو طرح عليها الزواج لكنها لم ترد مباشرة وها هي ترد فأخبرته لا أنتظـر أحـداً ليأتيني من البلد لاهو ولا غيره .. تريد مَن إذاً؟ قال وقد قفز :

تريدني أنا ترد على طلبي بشـكل غيـر مباشـر الكـلام واضـح ألا تكفينـي هـذه الردود؟ العمارة وقفت عـلى أقـدامها – سـيبدأ بإكسـاء الشـقتين المتجـاورتين – وسمع صوت من الخارج :

أستاذ أبو عرب فعرفه هذا صوت أبو أميرة أتى ليأخذ دفعة لتكون صافرة البـدء فتح الباب وتحدث معه واتفقا على رؤوس الأقلام وتفاصيل الإكساء تأتي فيما بعد ووعده أن يتم إكساء الشقتين معاً خلال مدة أقصاها شهرين وغادر.

قال أبو عرب : خلال هذه الفترة يجب عليّ فعل شيء ما إتجاه سـالي يـاه .. مـا أورع لمعة عيناها وما أبهى اللـون الأبـيض عنـدما يمتـزج مـع اللـون الزهـري في وجنتيها .

هي موافقة ولمّحت عدة مرات لكني أحب أن أسمع الرد الصريح هكذا:

أنا موافقة لأن تكون زوجي يا أبا الطيب –ماهذه الرغبة الذاتية– هي لـن تقـول بهذا الجزم ولن تبلغني بهذا الحسم إنها أنثى وحياؤها يوقف نطقها ..

ثم عليّ أن أتوقع أن تقـول لي: اذهـب إلى البلـد واطلبنـي مـن أهـلي. أهلهـا !.. مسكينة مات والديها لديها أخوة فقط وهم أيضاً مساكين سيوافقون على ما توافـق عليه هي سأقوم وسأطرح الموضوع مرّة ثانية وأنـا واثـق أنهـا تحبنـي وتتمنـى أن أكون زوجها سأكلّمها بهدوء وترّوي وسأحدد الوقت إن شاء الله.

همّ بالخروج لكنه توقف مستدركاً : ألم أكـن عنـدها قبـل قليـل ! ثـم هـل مـن الصواب أن أحدّثها بأمور مصيرية وهي بحالة ضعف؟ هي مجروحة من الخـارج والداخل نعم مازالت مجروحة من داخلها إن علاج البدن يستمر سـاعات وربمـا أيام أما علاج الروح فيبقى شهور وسنين .

عليّ علاجها ومداواتها وإنعاشها وإسعادها بفترة زمنية قياسية كما داويتها بفترة زمنية قياسية وضمّدت جرحها ..

من المنطقي إذاً أن أحدثها بهذا الموضوع بعد ستة أيام .. ستة أيـام؟ لا سـتبرد حرارة الحب وستهدأ خفقات القلوب خمسة أيام جيدة ..

لماذا خمسة أيام؟ كثيرة الخمسة أيام هي ليست عملية جراحية كبيرة أربعة أيـام .. لا أربعة مدة طويلة نحن سنتفاهم بالكلام ليس هناك جهد كبير ثلاثة أيام جيـدة أنا على النار وكلما بقيت على هذه النار كلما استويت ونضجت ...

أمضى أبو عرب ليلته على هذا المنوال هذا خطأ وهذا صواب...

في صباح اليوم الثـاني صـحا عـلى أنغـام موسـيقا يوميـة إنهـا زقزقـة العصـافير وأصوات عراكهم المتواصل من غير المعقول أن تكون كل هـذه الكلمـات التـي يبوحون بها عبارة عن سؤال وجواب عن أماكن تواجد البذور وبرك الماء

إنما من المؤكد أن بعض الذكور تغازل بعض الإناث وأن بعض الإناث تفضل بعض الذكور على بعضهم.

خرج ووقف عند باب البيت مدّ ذراعيه وشدهما بعفوية كالطفل الصغير جميل جداً هذا الصباح ..

هواء عليل .. طائر السنونو الأسود يجول في السماء .. الفراشة الملوّنة لاتعرف إتجاهاً واحداً في تجوالها في الهواء إنها تميل يميناً ثم ترتفع شمالاً لتحط في مكان آخر من المؤكد أنها أنثى فهناك فراشة ثانية تكتفي بأن تراقبها من بعيد وهي عاجزة لأن تحذو حذوها إذاً هو الذكر .. هكذا حلّل ما رأى .. هنا خطر في باله فكرة..

-انطلق نحو طرف الحي حيث المساحات الواسعة الفارغة من البيوت تقريباً إنها مشاتل الزهور. دخل إلى إحداها وسأل عن الورود المنزلية التي يضعونها في البيوت .

تجوّل بين المعروضات فشاهد ورود كثيرة مختلفة الألوان والأشكال .. هذه ورود ألوانها مموّجة من الأبيض إلى الزهر إلى الأحمر ..

وهذه بسنت ذات اللون الأرجواني ساقها قصير وملفتة للنظر رائحتها زكية تنعش الصدر قيل أنها أتت من أمريكا الجنوبية وقيل أنها تنمو على ضفاف النيل المهم أوراقها ناعمة ..

هناك ورود حمراء كإحمرار النار وبجانبها وردة صفراء فاقع لونها يبهر الأبصار .. لاشك أنه لو اشترى الورود الثلاثة الحمراء والبيضاء والصفراء التي هناك لفرحت بهم سالي كل الفرح.

....

أنزلته السيارة عند منزل سالي أنزل الورود وطرق الباب صاحت مريم من الداخل مَن؟ أجاب :

عمو الطيب .. فأسرعت وفتحت الباب سألها : كيف حالك؟ ومسح شعرها ردت : الحمد لله فربّت على كتفها وقال : قولي لأمك .. نادت سالي من الداخل : مَن بالباب يا مريم؟

رد بصوت عالٍ : السلام عليكم يا سالي. ردت: وعليكم السلام أهلاً وسهلاً .. أضاف : ابقِ مكانك أسمعك جيداً كيف حال الجرح؟ أجابت : أفضل من ذي قبل الحمد لله. أتم :

الحمد والشكر لله مريم احملي هذه إلى أمك واحدة وا حدة ثم رفع صوته : سالي ستدّخل مريم ورود ثلاثة تستحق هذه الورود أن تنظري إليها. لم ترد سالي .. بعد برهة سألها : ألم تسمعيني؟ أجابت : سمعت.... شكراً .

أردف : اهتمّي بسقايتها لتبقى متألقة لفترة أطول ردت : سأحاول .. بقي صامتاً ولم يسمع منها كلمة إضافية. نادى : أنا ذاهب إلى أشغالي السلام عليكم لم يسمع الرد. فخرج .

....

توجه إلى باب بيته مسرعاً وهو يحدث نفسه : المماطلة لن تفيد سأخطب سالي فوراً ومباشرةً توقف وهو يفتح الباب وقال : كيف مباشرةً !

ألم أقل لا يصح أن أفتح معها هذا الموضوع وهي ضعيفة؟ ..

دخل واستلقى على سريره.

....

ظل يتنقل بين بيته والمقهى والعمارة وشوارع المدينة وهكذا ثلاثة أيام خلال هذه الفترة زادت أحلامه .. إنه الآن كالمراهق يعيش في الآمال والتمني والأحلام أكثر مما يعيش واقعه .

....

في اليوم الرابع وقف عند نافذة المنزل لا ليراقب سالي بل كان يتأمل حركات العصافير والحمام فوق الأسطح .. إنه مشتاق لرؤية سالي .. سالي تعافت إلى حد ما وقوي جسمها .. يجب عليه حسم الأمور كلها يجب أن ينهي تردده لكن كيف سيفتح معها الموضوع من جديد؟

ذكر في خلده : يجب ترتيب الوقت والمكان .. سأدعوها إلى الحديقة العامّة أو .. أو إلى أحد المطاعم و .. لماذا المطعم بل إلى الملاهي والألعاب حتى تتسلى مريم ..

ما بك يا أبا عرب كيف تفكّر بأن تسير مع سالي في الحديقة أو في أماكن أخرى! هل هذا عادي؟

عليّ إكرامها وفتح هذا الموضوع معها في بيتها ويجب أن يكون معي أهلي أو على الأقل المتواجدون هنا مثل خالتي أم أحمد وواحدة من زوجات أعمامي وأم عمر .. زوجات أعمامي! مَن؟

عمي أبو محمود لوحده عنده أربع زوجات والأربع زوجات لا يهمهم في الدنيا إلا إرتداء الملابس الجديدة والمال والطعام .. خالتي أم أحمد هي المحبة لي وهي المسكينة المتعلمة تحمل شهادة تعليمية مشابهة لأمي رحمها الله إذاً خالتي وأم عمر فقط.

....

توجّه إلى منزل عمر مسرعاً فرحاً بالأفكار التي وصل إليها.

طرق الباب بسرعةٍ وقوة .. مشى المسكين في فسحة داره مذعوراً فناداه : افتح ياعمر..فتح وقال: أهلاً مابك؟ أجاب : آسف على الإزعاج أريد ان تسمعني جيداً فرد : لست أصم فأضاف :

أحب أن أشرب القهوة عندك فقال مندهشاُ : فقط؟ أجاب متردداً : بل .. أيضاً .. أريد أن أعلمك بأني .. بأني أريد أن أخطب فسأله : ما المناسبة؟ أجابه : سأخطب سأخطب فسأله غاضباً : أين؟ صحح : سأخطب ليس إلقاء كلمة بل سأخطب وأشار إلى إصبعه فاستدرك عمر : آه .. أخيراً؟

مَن هي صاحبة الحظ الـ.. الـ.. أكمل هو : قل التعيس فاستدرك عمر : لا السعيد حتماً .. تعال نجهّز القهوة في المطبخ. دخلا وفاجأه وقال : قررت أن أخطب سالي. رد مندهشاً : سالي! رد : نعم سالي ولا أريد غيرها ..

بقي عمر صامتاً محتاراً فأضاف أبي عرب :

إني أرى أن هذه العائلة مؤمنة بالله الواحد الأحد ليست سالي فقط وإنما المرحوم عبدالله وأهلهم من قبلهم نعم وصلوا إلى شريعة النصرانية أي شريعة الدين النصراني من خلال تعمقهم بالدين الإسلامي

نعم يعرفون الكثير عن الدين الإسلامي ويحبونه ولكنهم لا يبيحون بهذه النتيجة بل يبقونها مخفيّة هم مؤمنون بأن النبي عيسى بن مريم الآن في السماء وسينزله الله إلى الأرض في آخر الزمان ليوقف الشرك بالله الواحد.

سأقول لك شيئاً أبوح به لأوّل مرة.. رأيت سالي تخبيء قرآناً بين ملابسها في الخزانة طبعاً لمحته بطرف عيني عن غير قصد ومرّة أخرى رأيت كتاب قرأت من عنوانه كلمة النبوية من المؤكد أنه يتضمن السيرة النبوية لسيدنا محمد ﷺ أجاب عمر :

أنا أؤيّدك برغبتك هذه أضاف أبا عرب: أحببتها من قلبي وأُعجُبتُ بها وقررت الزواج بها وأريد مساعدتك أجاب : أنا جاهز قل ما نوع المساعدة؟ أضاف : أريد أن تذهب أمك مع خالتي أم أحمد لطلب يدها.. صمت عمر ولم يجب سأله : لماذا

صمتَّ يا عمر؟ أجاب :

أمي لن توافق عندما تعرف أن سالي نصرانية ليس كرهاً بالنصارى أبداً فلها أصدقاء نصارى كثر وإنما ستقول هناك عشرات الفتيات الجميلات المسلمات لماذا اخترت هذه الفتاة؟ رد : عندها سأقول لها إن زواجي من سالي ليس مخالفاً لشرع الله عز وجلّ ..

أنهى عمر غلي القهوة وأشار : تعال إلى الصالة أنت تعرفني لا أرفض لك طلباً وسأحدث أمي وسأشرح لها النواحي الدينية.

....

بعد يومين من الإنتظار والقلق والشوق والأفكار المتزاحمة وفي حوالي الساعة السابعة مساءاً ها هي سالي تقدم القهوة لأبي عرب وأم عمر وأم أحمد ..

جلست سالي مقابله بفستانها الجميل وأم عمر على يساره وخالته على يمينه .. كان خجولاً يتبادل هو وسالي النظرات من تحت الحواجب كانت سالي متألقة بكل ما لهذا الوصف من معنى

من المؤكد أن سالي وأبي عرب بغاية السعادة كل منهما ينتظر الآخر ليتكلّم بل لدرجة أنهم كانوا يعدّون أنفاس بعضهم البعض .. خرقت سالي هذا الصمت وقالت : تفضلوا ردت أم عمر :

سلمت يداك وأضافت خالته أم أحمد: شكراً يا ابنتي ثم أردفت : ابنتي سالي حضرنا إليك إلى بيتك الجميل هذا لنطلبك زوجة لأبي عرب وعلى شرع الله سبحانه وتعالى هل توافقين؟

بقيت سالي صامتة ونظرت بعينيها إلى الأسفل وظل رأسها مرتفعاً أحس هو بقلبه أن عينا سالي ستدمعان الآن.

هو يعرف رقّة مشاعرها وشفافّية قلبها يشعر وهو ينظر إلى عينيها اللتين ستنهمران بالدموع وتجهشان بالبكاء وستكتم هذه الحركات بضم الشفتين لكن قلبها ينبض أكثر وتنهيداتها تزداد أكثر

يشعر وهو ينظر إليها أنه سيبكي ويقول متأثراً : يا إلهي ما هذا الذي يحدث لي!.. إن أعصابي تتقلّص وتنبسط لكي أدقق النظر في اختلاج أحاسيسها .. نزلت دمعة صغيرة من عينه هو .. ما هذا؟ .. كيف ذلك! إن .. إن ..

عيناه تذرفان الدمع. هو الأستاذ .. هو أبا الطيب هو أبا عرب .. هو المعلم هو .. أيبكي؟ .. كيف؟.. لم يحدث هذا له سابقاً .. إنها أوّل مرّة في حياته تدمع عيناه تأثراً بعواطف غيره ..

إنها سالي .. إنها سالي نعم .. نعم سالي دقق النظر في شفتيها وقال في نفسه : تكلمي يا سالي .. قولي أيّ كلمة لا تكتمي في قلبك .. أفرغي شيئاً مما في صدرك .. خفّفي عنك ..

كررت أم عمر العبارات : سالي يا ابنتي توافقين أن تكوني زوجة للأستاذ أبي عرب على شريعة الله؟ قولي القرار لك وحدك.

بقيت سالي صامتة قال في خلده: والله لن أتركها محرّجة سأساعدها إن لم أساعدها في ضيقها الآن متى تكون المساعدة؟..

إنني أشعر بكل خفقة من خفقات قلبها كما لو أن الدماء التي تجري في عروقها هي نفسها الدماء التي تجري في عروقي هي تريد أن ترد تريد أن تجيب لكنها مرتبكة وتفكر في إختيار الكلمات المناسبة .

هي موافقة تماماً ولكن نظراً لكونها مازالت على دين آخر ومتزوجة وعندها مريم ولم يمضِ زمن طويل على وفاة عبدالله وتسكن في منزل عمر و و و ... كل

هذه الأمور تدور في ذهن سالي لذلك لم تجب حتى الآن.

رجى ربّه أن يلهمه حسن الكلام ليساعدها حتى تعبّر عن موافقتها وإخراجها مما هي فيه فقال :

سالي أنت ستكونين إن شاء الله سبحانه وتعالى سيدة بيتي وأم أولادي أنت الشريكة التي أريدها في بيتي. إن الله سبحانه وتعالى هدانا نحن أبناء آدم لننظم عواطفنا وغرائزنا وجعل لنا الخطبة للتعارف أكثر ومن ثم الزواج .

من الناحية العقائدية لك حرية العقيدة الكاملة إن بقيت على دينك أنت حرة وإن درست تعاليم الدين الإسلامي وأقتنعتي به افعلي ما يمليه عليك عقلك وقلبك لكن أنا أشترط أن تكون مريم معك أي في رعايتي وحمايتي مادمت حياً .

هنا ابتسمت سالي فابتسم الجميع .. قالت أم عمر : أنت تعرفين الأستاذ أبو عرب وأخلاقه وطيبة قلبه فقالت خالته أم أحمد : أبو عرب من أفضل الرجال وقيمته كبيرة بالحي ها ما قولك؟.. نظرت سالي إليه مباشرة وهي تخصّه بالرد قائلةً :

أنا موافقة .. قالتها بقوة فقال هو: الحمد لله وظهر الفرح على وجهه فقالت أم عمر : مبارك لكما ..

أضافت خالته أم أحمد : مبارك إن شاء الله ردت سالي : بارك الله بكم ولكن يجب أن يعلم أهلي في البلد ومن واجبي إعلامهم ومن حقهم أن يطمئنوا عليّ أجابت أم عمر حسناً سيذهب الأستاذ أبو عرب إلى بلدكم ويحدث أهلك ويطلبك منهم. أسرعت سالي مقاطعة :

لا أنا سأتصل بأخي وأختي وزوجها ليأتوا إلى هنا ونظرت إلى أبي عرب نظرة أفهمته من خلالها أنها لا تريد أن تتعبه بالسفر إلى هناك ففهم قصدها وابتسم لها.

خرجوا من بيت سالي وقلبه ممتلئ بالسعادة والفرح والسرور وكل ما هو جميل في هذه الدنيا .

....

دخل بيته وشعر أنه قصر صغير وأنه هو الأمير أبو عرب لم يعد صدره يتسع للهواء المنعش في هذه المشاعر وهذه الأحاسيس قام للصلاة حمداً وشكراً أمضى ليلته يحلم ويبتسم حتى وهو يتقلب في فراشه.

....

في الصباح أمامه مهمة سهلة وهي إعلام عمه أبي محمود كونه الأكبر سناً ومن واجبه إخباره بهذا الموضوع المصيري ذهب إلى بيته وكان اللقاء وأعلمه فتقبل هذه الرغبة وبارك له .

....

توجه بعدها إلى المسجد الشرقي ليحدّث الشيخ يحيى الصباغ إمام المسجد وهو مأذون لكتب الكتاب ...

مضى ثمانية وأربعون ساعة وها هو رقم سالي في جوّاله بحّلق عيناه أكثر وارتسمت إبتسامة على شفتيه ومسك هاتفه النقال بيده الثانية لماذا؟ هل سيفلت الهاتف من كف يده! بالطبع لا إذاً لماذا أحاط الهاتف بأصابعه العشرة....؟

هو في الحقيقة لا يحيط بالهاتف هذا الوزن المعدني وإنما أراد أن يحيط بصاحبة هذا الرقم إنها سالي فأسرع وفتح الصوت قبل أن تنتهي النداءات – الرنات– قالت :

أبو الطيب كيف حالك؟ أجاب : أنا مشتـ.. أنا بخير .. أنا .. هـ .. كيف حالك أنت؟ قالت : الحمد لله آه .. أخي وأختي وزوجها حضروا .. هم الآن في البيت

أجاب فرحاً : حقاً .. الحمد لله على سلامتك .. أقصد الحمد لله على سلامتهم سمع صوت ضحكتها فأجابت :

سلّمك الله قال مسرعاً : سنصلّي وسنحـ.. سنحضر اليوم بعد صلاة العشاء إن شاء الله فقالت : أهلاً رد : أهلاً فقط؟ فأتمت: أهلاً وسهلاً ضحكت وقفلت .. ضغط الهاتف بكلتا كفيه وتنهّد الصعداء.

....

عند المساء فتحت مريم الباب وقالت : عمو الطيب وقفزت إلى صدره حيث يقف الجميع بجانبه قفزت إلى صدره هي تفهم ما يدور حولها لكن فهمها ضعيف هي تدرك بأن شيئاً جميلاً سيحدث لأمها دخلوا إلى الصالة وكان الجميع ينتظر.

جورج شقيق سالي وغادة شقيقتها وإلياس زوجها تبادلوا التحيات والعبارات الوديّة.

قدمت سالي القهوة وجلست فتحدث عمه أبو محمود : أستاذ جورج والأستاذ إلياس نحن نكنّ لكم كل الحب والتقدير نحن عائلة الأستاذ أبي عرب يشرّفنا أن نكون أقارب في المستقبل والآن نطلب يد السيدة أم مريم المحترمة لابن أخي الأستاذ أبو عرب ..

هنا تفاجأ أبو عرب لسير حديث عمه المقتضب والملخّص. أجابه جورج : نحن أيضاً يشرّفنا أن يكون بيننا تعارف ونسب ونرجو من الرب تعالى أن يوفّقهم فنحن نعرف الأستاذ أبا عرب من حوالي عشرين سنة ولن ننسى أخا سيادتك والد أبي عرب رحمه الله ..

أثناء هذا الحوار كان أبو عرب يتأمل سالي وهي كذلك .. تحدث أحمد ابن خالته ورد عليه إلياس وكان الحديث في غالبيته إطراء ومدح وثناء ..

- حضر الشيخ يحيى أبا صهيب رحّبوا به وتحدث قليلاً ثم قرأ آيات من كتاب الله «من سورة الحجرات» ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾... وطلب البطاقات وسجّلها بدفتره و..

استمر الحديث والابتسامة لم تفارق محياهما طلب منهم أن يقرأوا الفاتحة ليبارك الله ما اتفقوا عليه. قرأوا بينما لم يتحرك جورج وإلياس وأختها بشيء ولا حتى رسم الصليب بينما رفعت سالي كفيها إلى فمها ونظرت إلى السماء فقال أبو عرب في خلده : أنا أراهن أن سالي قرأت الفاتحة وحمدت الله ..

تبادلوا التهاني وبقي أبو عرب وسالي ينظران إلى بعضهما وكأنهما يشاهدان بعضهما أول مرّة.

خرج الشيخ يحيى فأخرج أبو عرب من جيبه علبة فيها بعض الحليّ والمصاغ وارتدت ما أحضره لها وهي بغاية السعادة والفرح ..

أشارت له خالته بأن سالي وأهلها فاتهم تقديم العصير البارد فاتصل بمحل العصائر وبعد عشر دقائق أحضروا شراب العنّاب والجلاّب فانتبهت سالي لتقصيرها وحاولت الاعتذار.

....

-في اليوم التالي وقف في الشقة وبجانبه أبو أميرة يتفقد عملية الإكساء فقد وصل لمرحلة متقدمة الآن أصبح عليه لزاماً شراء حاجات سالي الشخصية من ملابس وأدوات وحاجات كل عروس.

....

في اليوم الثالث وقبل دخوله إلى المسجد لأداء صلاة العشاء اتصل بسالي

وطلب منها أن تجهّز نفسها ليذهبا إلى السوق لشراء الملابس فوافقت فأحس بفرحها دون أن تصدر أي صوت .. دخل إلى المسجد وقلبه مليء بالطمأنينة- وراحة البال .

....

بعد ساعة وجد نفسه مع سالي ومريم وسط السوق .

كان يوم عيد له عيد مليء بالفرح والسرور والنشوة والغبطة بنفس الوقت لم تكن مشاعره قبل ذلك مرهفة ورقيقة وأحاسيسه شفّافة بهذا القدر.

لم تكن له حوارات خاصّة وتجارب مع الفتيات كما كان يسعى بعض الشباب كانت حياته جديّة ويحسب مائة حساب لكل كلمة يتكلمها أو خطوة يخطوها أما وإن التقى بسالي وقدّر له الله حبها وألهمها حبه وهيأ لهما الخطوبة فإن اختلاجات أحاسيسه ومشاعره مضطربة وانفعالية كل ما يجري معه الآن يسره ويسعده ويفرحه ويبهجه ..

تنقلا معاً في الأسواق الشعبية البسيطة حيث الملابس النسائية الجاهزة سالي الآن بقمّة تألقها الابتسامة لا تفارق وجهها.

إنها وحتى تشاركه فرحته تعتبر كل ما يقوله نكتة وتضحك من قلبها اشتريا الكثير من الملابس ولمريم أيضاً وصلوا إلى واجهة أحد المطاعم ودخلوا وجلسوا وطلبوا الطعام.

- حوالي الساعة الثانية عشرة ليلاً وقفت السيارة التي نقلتهم من السوق إلى المنزل وصلوا ونزلوا وأنزلوا جميع الحاجات .

وقف أمام سالي وقال لها : مبارك عليك كل جديد يا سالي أجابت : أرجو من الله أن يبارك لي بك طوال حياتي أجابها: وأنا كذلك رتبي الأغراض وسأترككما

حتى تستريحا أسرعت مريم وردّت : لست تعبة فأضحكتهما سأل مريم :

هل أنت سعيدة؟ أجابت كثيراً. أضاف : إذاً غداً سنذهب إلى مدينة الملاهي وستمرحين هناك بالألعاب ففرحت مريم وقالت : صحيح؟ أجاب نعم غداً أم بعد الغد؟ أجابت سالي : كما ترى ..

توجه إلى الباب وخرجت سالي خلفه نظر إليها متأملاً وقال : سالي أريد صورة لك أجابت مندهشة : لماذا الصورة ها أنا ذا أمامك. أضاف : وماذا عندما أبقى لوحدي في غرفتي؟ -ثم حمل هاتفه والتقط لوجهها صورة- سأنظر إليك ريثما ألقاك ثانية تصبحين على خير وغادر.

....

دخل بيته واستلقى على السرير وقلبه مليء بالسعادة والسرور قال في نفسه : لن أدع سالي ينقصها أيّ شيء فتح ملف الصور في هاتفه وتأمل صورتها ثم وضع الهاتف على صدره وأغمض عينيه.

- في الصباح استيقظ على أصوات اليمامة فقد وقفت يمامة على حافّة نافذة البيت تصدر صوتها المميز وكأنها تسبح الله وتحمده بحث عن هاتفه متلمّساً ما حوله إلى أن وجده بين رقبته ووسادته فتح ملف الأسماء وبدّل اسم سالي إلى جميلة دنياي ثم فتح ملف الرسائل وكتب لها :

جميلة دنياي وجهك أنعم من الحرير وابتسامتك أرق من النسيم متى ستكونين في بيتي لأشعر بالنعيم؟ وأرسلها ثم اتصل بها لتستيقظ من النوم إن كانت نائمة ثم ذهب ليغسل وجهه

بدأ بتبديل ملابسه سمع صوت وصول رسالة في هاتفه فتح الملف فوجدها كتبت له :

ما وجدته منك فاق الخيال لم يكن أبداً ع البال فأنت زينة الرجال .. ثم اتصلت به وقفلت فابتسم وقال في نفسه : تريدني أن أقرأ الرسالة ... كلامها جميل جداً.

– ثم كتب لها : جميلة دنياي جهّزي نفسك لأصطحبك لنختار الأجهزة المنزلية كلها ومن ثم نكمل ما ينقصك من ملابس لك ولمريم وسنمر على الشقة لأريك إياها وأرسلها ..

أتمَّ ارتداء ملابس الخروج ووضع في جيبه مبلغاً كبيراً من المال سمع صوت وصول رسالة إلى هاتفه تقول فيها :

سأكون جاهزة بعد ربع ساعة إن شاء الله انتظرني عند الفسحة .. قرأها وشعر أنه أخطأ في أمر هام وهو لم يقل إن شاء الله بل هي التي قالت .. نظر إلى ساعته وقال : سأنتظرها عشر دقائق في الخارج ثم وقف عند النافذة وحدّث نفسه :

سأقول لها أحبك ولك كل الفؤاد و.. لا سأبحث عن كلمة أكثر من الحب .. العشق .. أعشقك يا سالي هل الحب أفضل من العشق؟ الحب هو الأصل الحب فيه لذة اسمها لذة الحب بزهوره وأشواكه ومن ثم رائحته الجميلة أما العشق فيه شقاء ويقال عاشق متيّم ويقال غارق في العشق.

العذاب شيء ممتعْ العشق يأتي بعد الحب بل هو ناتج عنه. الحب في الأصل ناتج عن الإعجاب إذاً الإعجاب اللاإرادي هو كالبرق لا تعرف متى ينزل عليك ويدهشك بل يضيء الكون. على الأقل المساحة التي تراها عيناك .. المهم أني أُعجبت بسالي وأحببتها وعشقتها.

....

– خرج من بيته وتوجه إلى نهاية الزقاق الصغير وقف ونظر إلى منزل سالي وقال: سأتمم الحديث معك يا سالي دون أن أحرّك يداي أو رأسي خشية أن يراني أحد ... هه يا سالي : هل تعتقدين أني أحبك فقط أم مغرم بك؟

ماذا قلتِ؟ مغرم! لماذا تقولين مغرم؟ ألأني أكثر من معجب محب؟ الغرام يأتي بعد ... بعد ماذا؟.. الغرام يأتي بعد حرمانٍ من المعشوق ... لا الغرام يأتي مع لـذة القرب من المحبوب جنباً إلى جنـب أنـا قلـت المحبـوب؟ .. نعـم المحبـوب .. المحبوب يعني الذي أعجبت به الإعجـاب الـذي تحـدثت عنـه يكـون بواسـطة الأحاسيس ..

الأحاسيس الملموسة مثل النظر والسمع و.. ويقف هنا أما الغرام فيأتي نتيجـة ضعف العواطف والتفكير و... وماذا ... يـاه ... لا أسـتطيع وضـع النقـاط عـلى الحروف ها .. ها .. ها هي سالي خرجت من البيت ..

إنها تنظر إلى باب بيتي ومريم أيضاً لن أرفع لها يدي .. أحب أن أنظر إليها وهي تبحث عني بعينيها إنني أحب أن أراها تبحث عني سأبقى دون حراك لقد رأتني .. اتجهت نحوي .. يا إلهي فرحتي لا حدود لها تبحث عني .. اتجهت نحوي ها قد التقت نظراتها بنظراتي .. تقترب مني ..

إن لحظات اللقاء لها خفقات قلب مميّزة أيضاً وضحكنا ضحكة خفيفة شـفافة ومشينا .. ركضت مريم وأمسـكت بيـده اقتربـت منهمـا سـيارة أجـرة ركبـوا بهـا وانطلقت.

....

توقفت السيارة ونزلوا منها .. تأملت سالي العمارة بسرور فأشار لها بأن تفضلي ودخلوا ...

- فتح باب الشقة ..دخلت سالي ومعها مريم قال : انظري .. ضممت الشـقتان إلى بعضهما لتصبح شقة واسـعة .. انظـري هنـا سـتكون غرفـة النـوم بعيـدة عـن ضوضاء الشارع .. هنا ستكون الخزانة الكبيرة سأشتريها بطول هذا الجدار ومهما

كان عدد أبوابها .. هنا مكان السرير..

سريري أنا وأنت وتأمل ملامح وجهها فأشاحت بوجهها جانباً. وأنت يا مريم .. انظري لك غرفة لوحدك .. تعالي ..

بعد استراحة قصيرة خرجوا من العمارة ..

....

خرجوا من الزقاق وأشار لسيارة أجرة فتوقفت. ركبوا فيها وانطلقت.

....

-وصلوا إلى السوق واشتروا ما نقص من الملابس بالإضافة للأجهزة الكهربائية والتي سيتم نقلها إلى الشقة مباشرةً ..

اشتروا طعام العشاء وعادوا إلى البيت مساءاً.

....

-توقفت السيارة أمام منزل سالي. أنزلوا الأغراض وأدخلوها إلى الصالون. ذكرت مريم: أنا جائعة رد أبو عرب : الطعام ساخن جهزيه لنا لنأكل معاً يا سالي ثم صمت وفكّر مستدركاً :

هل يصح أن يبقى في منزلها لهذا الوقت المتأخر؟ حدّث نفسه: أنا زوجها على شرع الله .. أصلاً لا يوجد أحد في هذه الدنيا حريص على سالي أكثر مني ..

هل يصح أن أترك سالي وأخرج؟ إنها إنسانة ومن حقها أن تفرح بخطيبها .. سأتوكل على الستار وسأبقى ولن أنظر إلى الساعة.

- تناولوا العشاء والفرح يملأ قلوبهم وسعادتهم لا توصف. إن أكثر ما لفت انتباهه أن سالي كانت محتشمة جداً في ملابسها فكانت تستر أي جزء من جلدها

يظهر فوراً وكانت حركاتها رصينة وبهذا كَبُرت في عينه أكثر ..

شعر أنه تعب ولا بد من ذهابه .. أخبر سالي ونظر إلى وجهها البريء فسألت : ما بك؟ أجاب : أرى أمامي وجه طفلة بريئة فردت : إن وجهي مرآة تعكس ما بقلبي فأجابها : نعم وأنا متأكد من هذا الكلام .. تصبحين على خير.

....

دخل بيته وجلس على حافّة السرير. إنه يسابق الزمن تمضي الساعات والأيام متسارعة ومليئة بالإنجازات .. إنه يتذكّر الماضي ويلوم نفسه لقد كان بطيئاً روتينياً أمضى عمره بلا حب بلا علاقة عاطفية مع أي فتاة. علاقة ضمن الحدود الأخلاقية مفعمة بالعواطف والأحاسيس ..

كان معلماً ومربياً وناصحاً ولايندم لكن هناك لذات مشروعة .. هناك عواطف مسموح بها مثل الحب الحب الخالي من النوايا السيئة.

- حمل هاتفه وفتح ملف الصور ليرى صورة سالي ، خاطبها : سأتزوجك يا جميلة دنياي يا طاهرة يا صابرة يا مؤمنة ..

استلقى على سريره وتنهد بعمق. صحيح أنه تعب من هذا اليوم لكنه رائع يجب عليه إراحة جسده استعداداً ليوم الغد .

نظر إلى الأعلى وقال: اللهم لك الفضل لما أنا فيه من نِعَم. تأمل صورة سالي مرّة ثانية وفجأة تصله رسالة منها تقول :

أعرف أنك تتأمل صورتي ويحسّني قلبي أنك تتلهف لرؤيتي من جديد ومتأكدة أن حبك لي لا يوصف وأنك متشوق لتلك الأيام التي تنتظرها والتي ستجمعنا معاً طوال الوقت ولو سألتني كيف عرفت كل هذه التفاصيل فجوابي هو : هكذا أنا أيضاً ..

نظر بدهشة متعجباً لهذه الصدفة سرّ كل السرور وقال: ياه كم أنت ذكية يا سالي

سأكتب لها :

جميلة دنياي .. حبيبة قلبي وروحي وعقلي وكياني كله. ردت عليه وبقي يلاطفها وهي كذلك حتى أذان الفجر كتب لها : سأتوضأ وأصلّي وأقرأ من القرآن الكريم سألقاكِ في النهار إن شاء الله .. ما إن أتم نهايات سورة ياسين حتى استسلم للنوم قبل أن يوهبها لوالديه...

صحى من نوم عميق وقد سمع أذان يُرفع قال في نفسه : في أي وقت أنا؟ الظهر أم العصر؟ نظر إلى الساعة فوجدها الثانية عشرة ونصف قال : سأكلّم سالي ..

....

ثم استدرك لا ربما مازالت نائمة سأتركها تكمل نومها حتى تستريح اعتدل في جلسته وإذ بصوت عمر من بعيد: أبا عرب يا أبا عرب قام وفتح الباب قال معاتباً : ما هذا يا رجل ! تلازمني طوال الوقت تارةً وتفارقني أسبوع كامل تارة أخرى والمسافة بيني وبينك أمتار! رد : صدقني أنا في شوقٍ إليك ولكني لا أجد الوقت الكافي هذه الأيام أجاب : طبعاً رؤية الأحباب أنستك الأصحاب رد :

لا يا أعزّ صديق أنت أيضاً من الأحباب اجلس لنشرب القهوة اجلس وسأحدثك بما يجري معي .. جلسا وشربا القهوة خرج صاحبه صلى الظهر وخرج بدوره.

....

-أثناء سيره اتصل بسالي : جميلة دنياي صباح الخير أجابت : أيّ صباح! دخل العصر صحوت أنا الآن وأنت؟ قال : من حوالي ساعتين ولم أحاول الاتصال بك خشيت أن أوقظك من النوم أجابت : لولا أن استيقظت مريم لبقيت نائمة ساعة إضافية قال مازحاً : إذاً لن أحدثك مطولاً قالت مسرعة : حدثّني كما تشاء وسأصحو متى تشاء قال : إذا كان يسرّك فهو يسرني أيضاً على كل حال جهّزي

نفسك سنذهب إلى مدينة الملاهي.

....

-عند الساعة الخامسة أقلّت سيارة أجرة كل من أبي عرب وسالي ومريم وتوجهوا إلى باب المدينة المليئة بالشباب والأطفال والبنات بعضهم يلهو بين الآلات الكبيرة المزينة وبعضهم يلهو على الحشائش.

كان من بين هؤلاء الشباب شاب شاهد أبي عرب وأخذ يتأمله بحقد و«توعد» نعم إنه رامز ابن أبي رامز .

لقد رأى أبي عرب آخر مرّة عندما ذهب إلى مزرعتهم ويومها كان خارجاً من المزرعة مع إقتراب أبي عرب منها شاهده يبتعد مسرعاً ولم يحدثه ها هو ينظر إليه الآن نظرة مليئة بالسم. إن دخول والده السجن بسبب أبي عرب / كما يعتقد/

تدارى رامز خلف إحدى الشجيرات مراقباً حركات أبي عرب ومن معه

دخلوا إلى أقرب لعبة وهي التي تدور المقاعد فيها إلى الأعلى بشكل دائري ركبوا بها وعلائم السرور على وجوههم ..

أخذ رامز يدور حول هذه الآلة والسم يقطر من عينيه إنه يفكر بالثأر هو يعتقد أن والده مظلوم وضحية وأن الذي سبب له السجن هو هذا الرجل فبينما هو على هذا التفكير توقف دوران الآلة ونزلوا منها وهم يضحكون انتقلوا إلى لعبة أخرى وهو يتبعهم.

-وصلوا إلى آلة مرتفعة ينزل من خلالها الأطفال وهي معدنية ناعمة ملساء / للانزلاق/ قالت مريم : سأصعد إلى الأعلى وأنزلق إلى الأسفل أجابها أبو عرب كما تريدين يا مريومة تفضلي سأساعدك بالصعود وسأنتظرك في الأسفل وصعدت صاحت سالي :

تمسكي جيداً يا مريم ... في هذه اللحظة اقترب رامز من أبي عرب حانقاً يريد أن يضربه من الخلف فالتفت إليه أبا عرب وسأله : أتريد شيء؟ تراجع رامز وادعى أنه يقف هنا صدفة وأجاب : لا ، لا شيء وغادر مسرعاً تأمله أبو عرب وذكر في نفسه :

أين رأيت هذا الشاب! سألته سالي : ماذا حدث؟ أجاب : أذكر أني رأيته لكن أين ومتى لا أذكر فقالت : ذهب لشأنه .. صاحت مريم من الأعلى جاهز؟ أجابها : جاهز انزلي جلست في بداية اللعبة وسلمت نفسها للنزول فنزلت فرحة ضاحكة فالتقطها في النهاية ثم حملها وتابعوا مسيرهم هنا تلفت أبو عرب حوله ثم فكر بعمق

....

فتذكره إنه رامز فقال بصوت عالٍ : يا إلهي إنه ، إنه رامز إنه رامز فقالت سالي مَن رامز؟ أجاب :

رامز ابن أبي رامز المتآمر علينا والموجود الآن في السجن فقالت سالي : نعم تذكّرته أهذا ابنه؟ رد : نعم ويريد أن ينتقم مني قالت سالي: تعال لنعود إلى المنزل قال : لا تخافي لو أني تذكّرته في لحظتها لأمسكت به وتصرفت معه لكني الآن تذكرت .. على كلٍّ سأبلغ النقيب مؤيد فيما بعد فأسرعت سالي وقالت : بل الآن .. الآن اتصل به أرجوك اتصل به وأعلمه .. حمل هاتفه وتكلم معه وخرجوا من المدينة.

....

- وصلوا إلى محل لبيع الأثاث المنزلي أسرّة خزائن طاولات رفوف كراسي و... انتقت سالي سريراً وخزانة وكان لونهم أبيض ناصع ومكّحل بالخط الذهبي اللامع .

وسألته هل أعجبك هذا اللون؟ أجاب : إنه أصفى الألوان أتفق معك تمام الاتفاق مبارك لنا فقالت : بارك الله بك يا حبيبي قال فرحاً كالطفل : أعيديها مرّة ثانية فبقيت مبتسمة قال : قوليها فردّت : فيما بعد ..

كتب لصاحب المحل عنوان البيت ودفع الثمن وخرجوا وبينما سالي تتحدث مع مريم قال في نفسه : ما أزال أنتظر من سالي أن تسألني متى الزواج؟ إنها لم تسألنِ ولا مرّة عن الخطوة التالية لم تسألنِ بل تترك لي التصرف وتحديد الخطوة التالية .. كل الفتيات تسألن عن موعد الزواج إلا سالي

اقترب منها وقال : سالي الآن وبعد أن جهّزنا الأثاث وكل مستلزماتك سأحدد موعد الزواج ما رأيك؟ قالت باستحياء : كما ترى فقال بصوت منخفض : أنا متشوّق لذلك اليوم وأنت؟ لم ترد فقال : قولي ما رأيك؟ نظرت إلى عينيه ثم نظرت إلى الأرض فقال : حسناً الخميس القادم يعني بعد أسبوع من الآن بقيت صامتة سألها :

هل أذهب إلى البلد وأحدّث إخوتك؟ أجابت: لا أريدك أن تتكبّد مشقّة السفر سأتصل بهم ليحضروا إلى هنا قبل يومين من الزفاف ابتسم وقال : كما ترين هيا لنشرب العصير.

....

في يوم الأربعاء أي قبل يوم الزفاف بثمانية أيام ذهب إلى منزل عمّه أبي محمود فشاهد الأولاد يلهون حوله بشكل فوضوي قال له : تفضل يا عريس تفضل أجابه: شكراً عم أنت بمكانة والدي وحضرت لعندك لأعلمك بأن شقتي جاهزة ومفروشة تقريباً وعليّ إتمام الزواج وإحضار سالي إلى الشقة يوم الخميس القادم صمت لبرهة ثم رفع رأسه كمن يوافق على تحمّل المسؤولية وأضاف :

رحم الله أباك هكذا مشيئة الله على كل حال مبارك إن شاء الله وكل ما تطلبه مني أنا جاهز أجابه : أنا أعلم أن مثلك لا يقصّر بشيء شكراً أرجو أن تُحضر معك مَن ترى من أعمامي وأولادهم.... أتموا حديثهم ثم خرج.

....

أثناء عودته إلى البيت مرّ بباب منزل عمر نادى عدة مرات ولم يرد لكـن حـذاءه عند الباب قرع الجرس ففتح له الباب ورحّب به ثم دخل قال له : اسـمع يـا عمـر أريدك أن تسأل أمك ما هي الإجراءات اللازمة لتقديمها لسالي قبل الزفاف أريد أن أُدخل البهجة إلى قلبها أجاب : كم هـي محظوظـة بـك يـا صـاحبي كـل الفتيـات يفرحن ويسررن عندما يتم تجهيزهن للزفاف .. أجبني :

هل جهزت شيء لك؟ رفع حاجبيه فأتمّ لم تُحدْثّنِ عن نفسك!!.... كم تحبها؟ أجاب: حبها يملأ قلبي فرد : أنت تستحق كل جميل في هذه الحيـاة عـلى كـل حـال سأسأل أمي وسأجيبك فأكد له : لا فلتذهب إلى سالي مباشرةً ويتحدثا معاً.

....

في اليوم الثاني اتصل بسالي وأخبرها : سالي ستأتي أم عمـر إليـكِ وتسـألك عـن تفاصيل يوم الزفاف اطلبي ما تشائين واسألي عما تريدين لا ترددي اختاري كل ما في نفسك صمتت قليلاً فعرف أنها مسرورة وتضـحك دون أن تـتكلم ثـم سـألها : قبل أن أنسى ما لون الستائر الذي تفضلينه لجميـع غـرف المنـزل؟ ردت : اللـون الفضي والمطرز بالذهبي هذا اللون يناسب ألوان أثاث المنزل فردّ :

حسناً فأسرعت وقالت: لم تقل لي ماذا قال لك النقيب مؤيد؟ أجابهـا : اطمئنـي سيكون الموضوع في اهتمامه.

....

وصل إلى المقهى متجهّم الوجه لم ينظر لأحد....

جلس على أول مقعد أمامه كان يشعر ببعض الخمول عندما تأتيـه هكـذا حالـة يستعيد شريط الأحداث التي حدثت مؤخراً فشرد بذهنه .. حضـر النـادل وسـأله فهز برأسه ربما قال قهوة أو شاي؟....

حلّق بخياله بعيداً.... مرّة يلوم نفسه.... ومرّة يستغفر الله.... ومرّة يبتسم ابتسامة شفّافة.... ومرّة يهز برأسه إنه ابن آدم الخطاء الضعيف المتقلّب المحتار المتمني المتأمل الساعي لرضا الله عليه ..

لا يميّز وجوه المارّين من أمامه يسمع أصواتاً من حوله لا يفهمها هو في طقوس روحانية صامتة طويلة جامد مثل الكرسي الذي يجلس عليه ..

بقي أكثر من ثلاث ساعات إنها المرّة الأولى التي يطول فيها شرود ذهنه لهذه المدة ربما لتزاحم الأفكار أو لكثرة الهموم ... لم يكلمه أحد ولا حتى النادل عاد إليه

شعر كما لو أن نصف جسده السفلي أصبح قطعة بلاستيكية دون أي إحساس لكنه مسرور نعم ربما لأنه تطرّق لكل ما مرّ معه وكأنه فرّغ شحنات رأسه .

- وقف ووضع ثمن كأس الشاي البارد وخطا عدة خطوات سمع صوت رنين هاتفه النقال إنها جميلة دنياه رد عليها وتحدثت معه ووعدها أن يمر عليها مساءاً عند انتهائه من أشغاله.

....

وصل إلى محل بائع الستائر واختار الألوان التي اتفق عليها هو وسالي وكتب له العنوان ودفع ثمنها وخرج .. شعر بالجوع ونظر إلى واجهة أحد المطاعم.

....

-فتح باب بيته وقد حمل معه أطباقاً من الطعام لسالي دخل ونظر إلى نفسه في المرآة ثم دخل ليستحم ....

خرج وصلّى وبدّل ملابسه وخرج ومعه الأطباق ..

طرق باب منزل سالي فقالت لمريم: افتحي الباب لعمك أبا الطيب يا مريم سمعها من بعيد وسمع صوت وقع أقدام مريم فتحت الباب وقفزت إليه وقالت : عمو الطيّب شدّها وسألها كيف حالك يا مريم؟ فردت بكلماتها الجميلة : الحمد لله نسيت أن تغلق الباب قال : لا أريد أن يبقى مفتوحاً ثم دخل ونادى : سالي أجابت : أنا هنا بالغرفة قال : تعالي لنجلس هنا قرب الباب النسمة الباردة عليلة هنا.

خرجت مرحّبةً : أهلاً أبا الطيب انزلي يا مريم وأكملي رسم اللوحة

أنزلها وأشار : تفضلي هذه أصناف متنوعة. وسألت: سلمت يداك هل سنأكلها كلها؟ أجاب : لِمَ لا اقترب منها وهمس : بت أعد الدقائق حتى يأتي المساء فضحكت فسأل : هه.... قولي ما عندك انشغل بالي. ردت :

عندما حضرت أم عمر بناءً على رغبتك سألتني عن لون فستان الزفاف أهو أبيض بالكامل أم مطرّز باللون الزهري؟ وعن رغبتي في لون الحذاء أهو أبيض برّاق أم مزركش بالورد وعن رغبتي في مظهر شعري أهو مرفوع أم مسترّسل على أكتافي وعن أشياء تخصّ العروس.... ثم سكتت..

تأمّلها منتظراً أن تتم الحديث فبقيت صامتة ثم حاولت التحدث فغصّت في النطق وهو مستغرب فهمس :

سالي .! رجفت شفتها السفلى كأنها تخفي ألماً في جوفها إنها تحاول أن تمنع عينيها من أن تذرفان الدمع قال : سالي قولي ما تريدين قوله ما الذي يزعجك ..؟ بالله عليك لا تكتمي الكلام قولي

تنهدت بعمق ومسحت دموعها وأتمت : أشهد الله أنك أعطيتني أكثر مما أحلم وأنت لم تقصّر بشيء وتجهد نفسك لتدخل السرور إلى قلبي وهذا هو الدليل الأكبر للحب ثم سكتت فسألها : و إذاً؟

أتمّت : إذا أردت أن تسرّ قلبي وتلبي رغبتي فأنا لا أريد أن أكون عروس مرّة أخرى. الفتاة عروس في زواجها الأول أما في زواجها الثاني فهي زوجة ففرحتها لن تكون كما هي فرحتها الأولى اعذرني .. قال :

سالي لكل وقت آذان كل الفتيات يرغبن بارتداء الفستان الأبيض والأيام تسير إلى الأمام لا إلى الخلف وأنا ... قاطعته قائلةً :

أنا لا أحب أن أرتدي فستان العروس أو تاجها .. اسمح لي أجاب : كما تريدين أكملت : اقبلني بفستان جديد لكنه ليس كفستان العرائس وشعر مُسرّح ليس كشعر العرائس و... قال :

سالي اهدأي أنا لا أريد إلا إسعادك اسمعيني أريدك هكذا كما أنت قالت : لا يوجد أحد في الدنيا يعرف ما بداخلك مثلي أنا أعرف ماذا ستقول قبل أن تتحدث اسمعني وأرجو أن توافق على رغباتي ... هل توافق؟

رد بسرعة : أوافق طبعاً دون تردد. سألته : ماذا أحضرت لنفسك؟ سألها : مثل ماذا؟ قالت : ألست أنت العريس! ماذا اشتريتَ لك؟ فأجابها : الحقيقة نسيت أن أشتري لنفسي كنت مشغولاً بحاجاتك أنت ومريم وأثاث الشقة وتجهيزات الـ... هزّت برأسها وقالت :

أعلم أعلم إذاً حقق لي رغبتي رغبتي هي أن تكون أنت بأبهى مظهرك من الشعر حتى الحذاء اسمعني جيداً رغبتي هي أن ترتدي الطقم الكامل ومسروراً وسعيداً .. إذا كنت تحبني افعل ما أطلبه منك قال : حاضر سأفعل فأتمت :

ليس اللون الأسود كما هو معتاد بل الطقم ذا اللون الأبيض وربطة العنق ذي اللون الأحمر ووردة في جيب الصدر أريدك أن تكون أهم عريس في هذه المدينة.

أريد لقلبك أن يطير من الفرح:

اجعل من زفّة العريس الغناء والطرب والطعام والشراب والرقص وكل ما هـو متاح أما هنا في منزل العروس فأريد أن تكون الأمور بسيطة وخفيفة أي ليست كما هي عندك فرّد : أنا موافق وسـأفعل وسـأنفّذ إن شـاء الله لكـن الآن أريـد أن أرى ابتسامتك فابتسمت وتنهدت تنهيدة عميقة فقال: ما أرق هذه الابتسامة .. أتمـت : أنا قبلت الزواج بك لأنك رجل نبيل وتخاف الله ولا تنسى ولو للحظة أن الله فوق رأسك وفي قلبك ثم أشارت إلى الباب .

فنظر إلى إصبعها ثم إلى الباب مـرتين وسـأل : مابـه؟ ردت : إنـك لم تـدخل إلى الغرفة وتركت الباب مفتوحاً متعمداً مع أنك زوجي شرعاً قال :

متجانباً الحقيقة هنا النسمة بـاردة و... قاطعتـه وقالـت : لا بـل لأنـك عفيـف النفس راجح العقل وتحسب حساب كل شيء هذا من نبلك ألم أقل أنني أعرف ما بقلبك قبل أن تتحدث .

هه.... أتحبّ أن تشرب القهوة الآن؟ أجـاب : كمـا تريـدينْ دخَلَـتْ المطـبخ وهي راكضة فقال بصوت عال : سالي لا تضعي إصبعك بداخلها هناك ضعيها هنـا فسمع صوت ضحكتها.

اقتربت مريم منه وعرضت عليه لوحة رسمتها وهـي عبـارة عـن طـائرين مـن الحمام على أطراف غيمة في السماء فكّر ما الذي دفعها لاختيار الحمامتان هل أنـا وأمها؟.. ماذا تعني الغيمة؟ هل هي.. إن عقل الطفل أكبر من عقل الكبيـر أحيانـاً قال : حمامتان؟ جميلتان الآن لوّنيهما وأريني ماذا فعلت ..

دخلت سالي ومعها القهوة سكبّتها أمامه وسألته مازحة : كم إصـبعاً تريـدني أن أضع؟ رد مسرعاً : مرّري أصابعك فوقه فقط يتساقط السكر لوحده فضحكت من قلبها تأمل شفتاها وأسنانها وبريق عينيها وقال في نفسه : متى سيأتي يوم الخميس؟

شربا القهوة مع أحاديث كثيرة حتى تثاءبت قالت وهي مبتسمة وواثقة : اذهـب

ونم قال مبتسماً : موافق غداً ستأتي أم عمر قولي لها ما تشائين تصبحين على خير فردت : وأنت من أهل الخير وخرج .

مشى بضع خطوات وهو يشعر أنها تقف عند الباب ثم توقف والتفت إليها فوجدها تنتظر إلتفاتته رفع يده ملوحاً وكان كف يدها جاهزاً ثم دخلت وأغلقت الباب.

....

وصل إلى باب منزله ثم فكّر وبدّل اتجاهه ليصل إلى باب منزل عمر طرق الباب وانتظر .. كررها .. سمع صوت عمر من الداخل : دقيقة .. فتح الباب مندهشاً :

لا تؤاخذني يا عمر الوقت متأخر ولكني سأقول كلمتين هنا عند الباب ومن ثم عُد ونم أريد أن تذهب أمك لعند سالي وليذهبا معاً إلى السوق لشراء ملابس لسالي وابنتها مريم .

وأريدك أن تذهب أنت معي لنشتري ملابس الزفاف أبيض وليس أسود ووردة في جيب الصدر .

وأريد أن تجهّز لي مجموعة لزفة العريس يعني فرقة شعبية لي وحدي الفرقة الموسيقية للعريس فقط

وأريدك أن تذهب إلى المطعم وتطلب منهم تجهيز طعام لمائة رجل فقط ولا تنسَ إيصال عشرين وجبة لبيت العروس عندها أهلها وغيرهم هـ.. تمام؟ ..

وجد عمر صامتاً مندهشاً أكثر انتبه إلى نفسه أنه مزعج وأن عمر ينظر إليه مغتاظاً منه فهو القادم في الوقت المتأخر وأيقظه من النوم فانسحب بهدوء وقال : أنا آسف .. وحدث نفسه : سأبتعد ويجب عليّ مراعاة راحة الأصدقاء ... عُد ونَمْ وبقي عمر صامتاً ينظر إلى الأرض.

....

دخل أبو عرب غرفته هارباً من نظرات عمر .. غسّل وبدّل ملابسه واستلقى على السرير منبطحاً وحمل الهاتف النقال واستحضر صورة سالي وتأمل ضحكتها فوصلته رسالة منها.... نظر مندهشاً فتح الرسالة وإذ تقول بها :

أعلم أنك الآن تنظر إلى صورتي لأنك تفضل أن ترى وجهي قبل أن تغمض عينيك يجب عليّ أن أعلمك بأني بقيت أنظر إليك....

لقد ذهبت إلى منزل عمر لتبلغه بما اتفقنا ثم رجعت إلى بيتك. خمس دقائق هي الفترة التي تغسل يديك وتبدل ملابسك ثم تستلقي على السرير وأنت الآن تنظر إلى صورتي. أحب أن تكون آخر كلماتي لكَ .. سأقفل هاتفي وأنام تصبح على خير.. انتهت الرسالة أجاب بصوت مسموع: وأنت بخير يا سالي .. وأغمض عينيه.

....

استيقظ مع آذان الفجر وقد ترافق صوت الكروان مع صوت المؤذن

يحلّق هذا الطائر مع أول بزوغ الشمس وبعد المغرب. صوت هذا الطائر قوي يتموّج من العالي إلى المنخفض بالتدريج كأنه ينادي لساكني البيوت أن أذكروا ربكم عند الصباح وعند المساء صلّى الفجر وقرأ وعاد إلى النوم ..

في الصباح قام ووقف عند النافذة ثم نظر إلى السماء وقال في نفسه : منك التوفيق يا الله ماذا عليّ فعله اليوم؟

يجب عليّ شراء أصناف من العطور لكن سأشرب القهوة عند عمر ثم استدرك .. لا.... عمر لا.... هو غاضب مني كنت بالأمس غليظاً ثقيلاً عليه م .. سأبعث له رسالة وأعتذر منه .. ومن خلال الرد أعرف إن كان غاضباً مني أم راضياً عني .

فما كان من عمر إلا واتصل به قائلاً : السلام عليكم أنا آسف لم أتجاوب معك البارحة لأن مزاجي كان مضطرباً .. كيف حالك؟..

سرّ باعتذاره مع أنه كان ينوي أن يعتذر هو منه أسرع قائلاً : هل مازالت قهوتك من دون سكر؟ أجاب : جهزها وسأحضر حالاً وأغلق الهاتف قال بصوت مسموع : هكذا تحلّ الأمور بين الأصدقاء.

....

- اقترب أبو عرب من السوق الجديد وأخذ يبحث عن محال لبيع العطور وصل إلى أحد الواجهات وقد كُتب عليها لوازم مدارس، عطور، تصوير مستندات، دخل المحل وتفاجأ بشاب يستقبله بحرارة وبجانبه شقيقته: أهلاً أستاذ تفضل سأله : شكراً كأنك تعرفني؟

رد طبعاً ألا تذكرني؟ أنا موشا سأل : وكنت من تلاميذي؟ أجاب : نعم درّستني في الأول إعدادي والآن عمري ستة عشرة عاماً أجابه : ما شاء الله ألم تكمل الدراسة؟ أجاب : لا اشترى لي والدي هذه المكتبة وأعمل بها قال له : أتمنى لك التوفيق أتم موشا وهذه شقيقتي سارة. أجابه : تشرفنا آنسة سارة ردت شكرًا أستاذ فسأله موشا: أي خدمة أقدمها لك؟

أجاب : أبحث عن عطور تكون خفيفة وشفّافة للأطفال والنساء والرجال قال: حاضر وأسرع إلى الرفوف وأخذ ينتقي من الزجاجات المرصوصة أخذ أبو عرب يتذّكر ويتأمل هذا الشاب

اسمه غير متداول موشا .. إنه ليس عربياً ثم .. يا إلهي تذكّرت إنه .. ابن إسحاق نعم ابن إسحاق الرجل الذي عاتبني عندما خرجنا من اللقاء الاجتماعي .. قال لي يومها إن ابنه كان أحد تلاميذي إنه .. من الطائفة اليهودية .. صدفة.

أحضر ثلاثة زجاجات وقال : تفضل أستاذ هذه خفيفة ولطيفة هذا الصنف من نباتات سفوح سافويا الإيطالية وهذا الصنف باريسي جديد نسائي مرغوب جداً

شمّها اقترب ليشمّها ولكن عيناه كانت تتأمل موشا وقال : أ.. وزجاجة الأطفال هذه؟ أجاب من زهرة الياسمين مخلوط بزهرة الورد الجوري إنها رائعة. قال : حسناً سآخذ الثلاثة هذه .. موشا لماذا لا تحتوي مكتبتك على كتب ثقافية؟ صمت ثم قال : لا أعرف أهي مربحة؟

انتابته الدهشة من هذا السؤال فأجابه كل ماتبيعه مربح على كل حال مرابح الكتب تعود للمجتمع فالمجتمع الغني بالمثقفين الواعيين رابحون أبناءه وعلى كل حال فيها مرابح مادية لا تقلق أجاب :

سأفكّر بالأمر .. حقيقة أستاذ أبو عرب أنا شخصياً أحب سماع حديثك باستمرار رد : وأنا أشعر بأنك أذكى من غيرك وسألقاك فيما بعد أنا مشغول كثيراً هذه الأيام تفضل خذ ثمن العطور هذه وسألقاك فيما بعد إن شاء الله .. خرج وهو مسرور لسماعه رأيه به حين قال : أنا شخصياً أحب سماع حديثك باستمرار.

....

دخل بيته وبيده الزجاجات الثلاثة تأمل الطقم الأبيض وربطة العنق الحمراء ثم شهق ووضع كفه على جبينه قال : ياه ... كيف نسيت!.. ما هذه السهوة؟ جمل هاتفه وأظهر رقم النقيب مؤيد.....

ألو السلام عليكم سيادة النقيب أرجوك أعذرني أنا آسف كل الأسف .. صدقاً أكلمك وأنا خجل منك كان من المفروض دعوتكم لحضور زفافي من أسبوع ولكني...

فقاطعه النقيب مؤيد قائلاً دعوتك مقبولة وقبلت عذرك وستجدني أنا وعناصري موجودون فقال مسروراً: أهلاً وسهلاً نتشرّف بكم وبحضوركم وقفل ثم فكّر بعمق وقال في نفسه :

كيف ذلك؟ في مثل هذه دعوات يحضر المدعو فقط لماذا سيُحضر عناصره

أيضاً؟..

لم يدرك أبا عرب حجم الخطر الذي هو فيه هو يخطط ويرسم ويحاول تنفيذ ما يخطط له لكن ليس كل من هم حوله ذوات نوايا حسنة وطيبة مثله اعتقد محاولة قتله أو ضربه من قبل رامز مرّت وانتهى الأمر اكتفى بأن اتصل بالنقيب مؤيد حينها وانتهى الأمر لكن رامز هذا اختفى عن الأنظار وحتى عن عيون قوات الأمن.

الأمر الأهم أن النقيب مؤيد لم يمرّر خبر هذه الحادثة القصيرة مرور الكرام وهو وإن سمع دعوة أبي عرب لحضور الزفاف لكنه كان يعلم موعد الزفاف والإجراءات التي سيتخذها أبا عرب وأغلب التفاصيل من قبل أن يدعوه أبو عرب ولهذا لفظ عبارة «ستجدني أنا وعناصري موجودون» فهو لم يشرح لماذا ولا كيف..

توّقع النقيب مؤيد أن يقوم رامز بفعل ما لتعكير صفوة الزفاف من خلال خبرته بهؤلاء الأشرار

فقام بنشر عدد من رجاله فوق الأسطح المطلة على منزل سالي ومنزله هو نفسه دون أن يشعر أحد بذلك بل وكلّف بعض من عناصره بارتداء ملابس المتسولين والمساكين ليكونوا من بين المدعوّين وبقوا على إتصال معه ومع مساعديه.

إذاً أبو عرب ومنزله وسالي وابنتها وكل الحركات تحت مراقبة قسم الشرطة وهم في حالة استنفار تام.

....

لم ينسَ أبو عرب ارتداء الطقم الأبيض والربطة الحمراء والوردة الجميلة على جيبة صدره وتمشيط شعره بشكل مميز تحت رغبة سالي.

ها هو الآن جالس وسط ابن خالته أحمد ومحمود وياسين أولاد عمه ومقابله

كل من عمر وعدد كبير من المدعوين وأمامهم جميعاً عدد كبير من المعلمين والجيران ومجموعة من المساكين الفقراء الذين لم ينسَ دعوتهم جالسين جميعاً أمام طاولات مرصوصة على شكل مربع مفتوح بجانبهم فرقة من رجال السيوف والتروس يرتدون الملابس الشعبية ويستعدون للمبارزة ..

وقفت عربة عند باب منزل سالي وأحضروا لهم الطعام والشراب وصلت العربة إلى الطاولات هذه وأنزلوا منها الأطباق والأطعمة وتم نشرها وبدأ المدعوون بتناول الطعام ... الأجواء كلها مليئة بالبهجة والأحاديث الضاحكة وعلائم الفرح تبدو على محيا الجميع.

وفي صالون منزل سالي أخوتها وبعض أقربائها الذين حضروا من البلد وأم عمر وأم أحمد وأم ياسين وعدد من النسوة والفتيات كانت سالي تتحدث مع الذين بجانبها وهي مبتسمة وهادئة تجلس أمامها في الصف الأول ابنتها مريم ...

سالي بفستانها الجميل الغير مزركش وهم يسمعون أغاني من آلة تسجيل تخص الزفاف ... كانت مريم تقوم من مكانها وتلهو مع من هم بعمرها وتخرج من الباب أحياناً لتشاهد تحركات الناس عند منزل أبي عرب وتعود ...

في هذه الزحمة وهذا اللهو كان رامز ومعه اثنان من رفاقه يراقبون مريم وينتظرونها لتبتعد عن الناس قدر الإمكان ليخطفوها ويذهبوا بها لا من أجل قتلها أو تشويهها أو ... وإنما من أجل إفشال الزفاف كله وبالتالي الانتقام لوالده المسجون.

نعم هذه هي المؤامرة التي رسمها رامز منذ أن رأى أبا عرب وسالي في مدينة الملاهي لقد عرف أن موعد العرس اقترب ورسم هذه الخطة لكن أبا عرب اكتفى بأن أعلم النقيب ونسي المحاولة كلها .

النقيب مؤيد الآن يراقب كل التحركات هو وعناصره المتصلين به بلواقط الصوت المخفية تحت قُبّة القمصان .. لقد رصد النقيب رامز ووجه عناصره

ليبقوا حذرين قال لهم : إن الهدف مكشوف أمامنا ويبقى أمامنا معرفة عناصره المتعاونون معه مَن هم؟

إنهم لن يستطيعوا قنص أبا عرب وسط هذا الزحام ولن يستطيعون إيذاء سالي وهي في صالونها وسط النساء إذاً الهدف الأسهل هو الطفلة مريم إن عملية خطف الطفلة مريم هي المرجحة لذلك عليكم جميعاً مراقبة تحركاتها كلها حتى وإن وضعت يدها بجيبها وبقوا على هذا الحال .

لقد تناقص عدد الموجودون بعد تناولهم الطعام والضيافة بعد ذلك أزيلت الطاولات ليفرش مكانها منصّة الفرقة الموسيقية وأمامها الكراسي للحضور وبدأت الفرقة بعزف ألحان قديمة والتي لم تعجب الجيل الصاعد وقدمت بعدها أغاني راقصة وبدأ الجميع بالرقص ...

خرجت في هذه اللحظات مريم من بيتها لتشاهد الرقص والتصفيق وجد رامز هنا فرصة لعملية خطف مريم فوجّه رفيقيه الواقفان بجانب دراجة نارية بعيدين عن الزحمة وقال : الآن اخطفوا الطفلة مريم أريدها سليمة أمسكوها جيداً.

أبلغ أحد عناصر النقيب مؤيد هذه العبارات فوراً فما كان من النقيب مؤيد إلا وهاجم هو وعناصره الدراجة النارية بعد انطلاقها بثوان وقبل اقترابها من باب المنزل وفي نفس الوقت الذي تم حمل رامز بعد كتم فمه ووضعوه بعربتهم وانطلقت به في ذات اللحظات تبعتهم عربة ثانية فيها رفيقيه ودراجتهما ..

كل هذه الحركات لم يفهم الناس ما الذي يجري لكنهم سألوا فيما بينهم ما الذي يجري فأجابوهم عناصر النقيب مؤيد

أن هذا الشاب أُغمِيَ عليه من شدة تعبه وإرهاقه وفقد الوعي وتم إسعافه اكتفى الحاضرون بهذه الأجوبة لكن الشيء الملفت للنظر أن أبا عرب نفسه كان يحدث

نفسه في هذه اللحظات تماماً ويقول : إن ما يشغلني الآن هو سالي أهي سعيدة أم لا؟ أهي فرحة وضاحكة أم لا؟

اقتربت سيارة العروس المزينة والمزركشة منه تنهد وقال: الآن حان وقت الذهاب إلى الشقة إلى العش الزوجي مع حبيبتي مع جميلة دنياي مع سالي التي لم تفارق صورتها خيالي .. اقتربت منه سيارة العروس ركب لوحده في المقعد الخلفي وركب الحاضرون كل في سيارته.

سارت السيارة ثلاثون متراً ثم توقفت عند باب منزل سالي نزل ورتب ملابسه والوردة التي على صدره وتسريحة شعره .

خرجت سالي بهدوء بفستانها الجميل وشعرها المرتب رأته ينتظرها تأملته مبتسمة لأنه حقق لها كل ما أرادت منه تأملته من شعره حتى حذائه وتوقفت عيناها عند عينيه وهمّت بتحريك شفتيها لتقول شيئاً وهمّ هو بتحريك شفتيه ليقول جملة وإذ بهما يقولان معاً وبنفس اللحظة :

«لا أريد من هذه الحياة إلا أنت» تفاجئا تماماً واندهشا معاً لما حصل قالا معاً وبنفس اللحظة نفس الجملة ودون ترتيب مسبق «أمر تاريخي» ..

مد لها يده ومسكها وأعطته أم عمر وخالته معاً طرحة واسعة وضعتها على رأسها وساعداها في الركوب وركب هو بجانبها وانطلقت السيارات خلفهما ... المسافة ليست بعيدة خمس دقائق فقط

خلال الخمس دقائق هذه كان أبا عرب يفرك أصابع سالي الرقيقة بلطف وهي بغاية السعادة لا توجد امرأة في الدنيا لا تحب أن ترى زوجها مغرّم بها ومتلهّف لها قالت له سالي:

لن أنسَ الجملة التي قلناها معاً ماحييت رد قائلاً: وأنا كذلك ثم كرراها معاً «لا أريد من هذه الدنيا إلا أنت»

ثم مالت برأسها على كتفه فشعر أنه ملك كنوز الأرض كلها .

....

وصلا إلى العمارة توقفت التحركات كلها نزل وفتح لها باب السيارة نزلت ونظرت إلى الأعلى إلى الشقة قال لها : منزلك بانتظارك ..

نزل الراكبون جميعهم وبدأت أصوات الزغاريد تصدح في السماء سبقتهما إلى الشقة كل من أختها وزوجة أخيها وخالته أم أحمد وأم عمر ومريم ..

....

مسك يد سالي وصعدا على الدرج لأن المصعد غير جاهز فالارتفاع ليس عالٍ وهما يسمعان أصوات الأغاني المشهورة بهذه المناسبات .. رفع رأسه فوجد من سبقهما عند باب الشقة يصفقون ويغنون دخلا الشقة وتبعتهما أختها ومريم ثم خالته أم أحمد.

ظلت عيناه تراقب عيني سالي ولم يعد يهتم بالتفاصيل دخلت فلانة خرجت فلانة تكلمت سكتت لم يهتم إلا بعيني سالي إلى أين تتجه؟ هل ترمقه بنظرة أم لا لو أن لعينيها شفتان لقالت له لماذا تتأملني باستمرار؟

أثناء وقوفهما بجانب بعض لمس بإصبعه الصغير الخنصر خنصرها دون تعمد انتبهت لذلك فأسرع وشبك أصابعه كلها بأصابع كفها ونظر إلى عينيها فأخفضت رأسها وتوردت وجنتاها ، أصابع يدها رقيقة إن ضغط أكثر تكسروا هي شفافة ناعمة.

أرادها أن ترفع رأسها لكنها لم تفعل فسمع صوت يقول تعالوا لنخرج وندع العروسين كي يستريحا فهم أن هذا النداء ليخرج كل الناس من الشقة ليبقى مع سالي لوحدهم الكل فهم القصد .

بدأوا بالخروج بعد أن قاموا بتهنئتهم وقفا هو وسالي قبالة بعضهما يتأملان العيون وما قطع هذا الاسترسال في التأمل هو صوت حركة عشوائية من مريم أثناء قفزها .. قالت مريم : طقمك جميل عمو الطيب أجابها : وفستانك جميل جداً أيضاً همست سالي بإذن مريم أفهمتها بأن تلهو في غرفتها فدخلت.

....

- دخل هو وسالي إلى غرفة النوم تقدمت سالي نحو الخزانة وأخرجت من بابها غطاء رأس مطويّ قرّبته منه فسألها ما هذا؟ أجابت : إنه غطاء رأس سأضعه على رأسي عندما أخرج إلى الشارع ولن يرى شعري أحد من الرجال هذا قراري أنا نابع من قناعتي وسترى في المستقبل أني أخبئ في خزانتي شيء ثمين جداً .. قال : حسناً بارك الله بك ردت : أحب أن تضعه أنت الآن على شعري لترى إن كان لونه يناسب بشرتي أم لا .

حمل الغطاء ومدّه على شعرها وأرخى سدوله على أكتافها وقالت : اعتباراً من الغد لن يرى شعري إلا أنت. قال : إنه حلالي .. اقترب أكثر وقال : كل شيء حلالي ثم استدرك .. سالي دقيقة سأتوضأ وأصلّي صلاة الحمد والشكر ورجاء التوفيق فهزت برأسها مبتسمة.

أسرع بالوضوء وأسرع بالصلاة والدعاء دون تعمد هكذا شعر.. سألها : ستلهو مريم مع لعبها؟ ردت : لقد أخبرتها بعدم الخروج من الغرفة إلا عندما أناديها.

الآن حان وقت فعل واجبه كرجل عليه فعل ما يفعله العريس في ليلة الزفاف.... نعم فعل كما يفعل أي ذكر مع أنثاه في أول ليلة يجتمعان بها..... مشاعرهما أحاسيسهما سعادتهما لا يمكن وصفها....

بعد قليل من الراحة استلقى على سريره واستلقت هي بجانبه وأرخت رأسها على صدره ويدها على شعره قائلةً :

قل لي يا عبدالرحمن أنا أعرف لماذا بعض الناس يلقّبونك بأبي الطيّب وهم أهل عبدالله رحمة الله عليه وأهلي المقربين منا لأنك طيّب في طبعك ولا تحمل الغلّ والحقد على أحد..

البعض الآخر يلقّبونك بأبي عرب .. ما السبب؟. أجابها : عندما كنت مدرّساً في المدرسة الكبيرة الجديدة صادف يوم ١٩ آب أغسطس ذكرى اندلاع الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦

كانت بداية الثورات العربية ضد الحكم العثماني يومها أقيم احتفال كبير في هذه المناسبة حيث دعي رؤساء الأحزاب التحريرية والأنشطة الاجتماعية والأحزاب القومية وتمت دعوتي لإلقاء كلمة بهذه المناسبة

ألقيت كلمة حماسية طويلة وعلى ما أذكر ... قلت يومها : أيها العرب أيها المسلمون

إنكم اليوم بحاجة كبيرة إلى ثورة ضد الأمية والعادات السلبية لأفراد المجتمع .

- إلى ثورة ضد الجهل والتخلّف إلى ثورة لإفهام الشباب معنى الرجولة والاحترام والآداب وقلت : إنك أيها العربي بحاجةٍ ماسّة لثورة ضد الفساد والمفسدين إنك بحاجة لثورة ضد الرشوة والغش والتجاوزات والمحسوبيات في المدن كلها والبلدات.

إن الثورة هي النهضة العلمية التي تنهض بالدول للوصول إلى أرقى أساليب التقدم العلمي والحضاري .

إن الثورة الأخلاقية هي الحفاظ على قيم ومبادئ العرب الأصيلة لتبقى أمتنا العربية إنسانية معطاءة قال الشاعر «إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا» .

الثورة يجب أن تُعلن ضد كل من يستعمر أراضينا ويستغل خيراتنا ويسرق محصولنا ويهدر كرامتنا ...

وقلت الكثير عمن يتمسّكون بمراكزهم ويعشقون المناصب ويحكمون بالقوة وكانت إستجابة الحاضرين معي كبيرة واعتباراً من ذلك اليوم أصبح الناس يلقبونني بالأستاذ والثائر أبي عرب أو الأستاذ عرب و.. فقاطعته قائلة :

«أيها الثائر أنت في نظري أبو العرب والأستاذ والطيّب وكل شيء تعال وشدّته من أكتافه إليها وقالت : أتمم ثورتك».

– تم الجزء الأول بحمد الله –

تأليف: إبراهيم حسين عبيد

«سوريا»

بإذن الله :

الجزء الثاني سيكون بعنوان :

ـ يوميات أبو عرب والنبي موسى عليه السلام... ـ